شعيب العرجوني
رواية
الأسد الأخير
على الأرض

شعيب العرجوني

# الأسد الأخير على الأرض

رواية

***إلى روح جدتي التي كانت تروي لي القصص على نار الشموع فأشعلت بداخلي نار الكتابة .***

## *إهداء*

**أهدي هذا الكتاب لكل من ساندني و آمن بي.**

**إلى كل أفراد عائلتي.**

**كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل أصدقائي على دعمهم و تشجيعهم المتواصل.**

## شكر خاص

**أتقدم بجزيل الشكر لأخي حمزة العرجوني على دعمه المادي و المعنوي و للصديقين زكرياء خربوش و صلاح نادي على قراءتهما الأولية للرواية و نصائحهما القيمة.**

## مقدمة

**لطالما كنت شغوفا بوثائقيات ناشيونال جيوغرافيك و أن أكتب رواية يكون بطلها أسد كان حلما قد تحقق .**

**هذه الرواية هي محاولة متواضعة لدق ناقوس الخطر الذي يترصد بكوكبنا المتمثل في انقراض بعض الحيوانات من أهمها الأسود، حيث أشارت الكثير من التقارير إلى تقلص عدد الأسود في معظم بلدان العالم و خصوصا بقارة إفريقيا.**

**هذه الرواية عبارة عن صرخة تحذر من عدم أخذ الموضوع بالجدية اللازمة، فلا أحد منا يستطيع أن يتخيل أن يغدو عالمنا من دون أسود.**

**" حذر علماء وخبراء من خطورة انقراض الأسود التي تعيش في البراري، من جراء ما تتعرض له من اعتداءات، سواء كانت من محيطها في البيئة التي تعيش فيها، أو من تهديدات خارجها كتلك التي يمثلها البشر.**

**وأظهر أحدث فيلم وثائقي بثته " بي بي سي إيرث"، المخاطر التي تهدد 5 من أكثر الحيوانات شهرة في العالم بالانقراض، مثل طيور البطريق والشمبانزي والنمور، وفق ما ذكرت صحيفة "ديلي ميل" البريطانية، السبت.**

**وتقاتل اللبؤات على وجه التحديد (الإناث من الأسود) من أجل البقاء على قيد الحياة في أرض أصبحت مليئة بالأعداء، في وقت يتعين عليها الحفاظ على نسلها وسط التحديات القاسية المفروضة عليهم في البرية.**

**وقال الباحث في جامعة نيوكاسل، نيكي روست، إنه من أجل ضمان بقاء الأسود على قيد الحياة، لا بد من توحيد الجهود من المنظمات المعنية بالحيوانات، وتدبير التمويل اللازم للحفاظ عليها.**

**وبعد نفوق ما يقرب من 200 ألف أسد قبل قرن، يعتقد بعض الخبراء أن عدد الأسود في البرية حاليا لا يتجاوز 20 ألف أسد، محذرين من احتمال تراجع هذا العدد يوما بعد يوم.**

**وتحت التهديد المستمر لخطر الضباع والأسود الذكور التي تقتل الأشبال في حال لم تجد فريسة لها، يبرز الإنسان كواحد من المصادر الأساسية المهددة للأسود في العالم.**

**وتواجه الأسود هجوما من البشر على العديد من الجبهات، وتعتقد منظمة "بانثيرا"، وهي منظمة لحماية القطط البرية، أن أخطر أسباب تراجعها يعود إلى فقدان الملجأ، بالإضافة إلى القتل الذي تتعرض له من البشر لحماية ماشيتهم. "**

**سكاي نيوز**
**2018**

**" لقد وصلنا إلى النهاية التي طالما خشيناها، لقد صار عالمنا من دون أسود، مات بالأمس آخر أسد كان يعيش بالحدائق الوطنية بجنوب إفريقيا و بذلك تكون الأسود قد انقرضت نهائيا. "**

**ناشيونال جيوغرافيك**

**2051**

## الفصل الأول

# رودريغو كانيلا

**" نحتاج قدرا زائدا من الحكمة كي ندرك أن معظم، إن لم يكن كل، ما نراه في حياتنا عاديا ليس عاديا "**

**ويل ديورانت**

**-1-**

***ولاية كاليفورنيا***

***مدينة سان دييغو***

***مارس 2053***

**" عزيزي رودريغو**
**أرجو أن تكون بخير، كما أتمنى أن تحرص على أخذ حقن الأنسولين و تناول الدواء في وقته، أرجوك اعتنِ بنفسك من أجلي و من أجلنا و من أجل كل أحلامنا**
**كارولين "**
**قرأ الرسالة و رمى الهاتف بعيدا، إنها رسائل كارولين اليومية التي تذكره دائما أنه مصاب بالسكري، لا تنتهي نصائحها له بأخذ حقن الأنسولين و الابتعاد عن كل ما يغضبه حتى لا تتدهور حاله.**
**" أتمنى أن تحرص على أخذ حقن الأنسولين "**
**ظل يردد في نفسه بنبرة ساخرة.**
**يعلم أنها تحبه لذلك هي قلقة طول الوقت، بَيْدَ أنه لم يشعر يوما أنه يحبها، إنه يشتهيها فقط، قرأ مرة لغابرييل غارسيا ماركيز عبارة تقول :" الحب هو ما يبقى من الحب بعد الجنس" و ظل طيلة سبع سنوات من علاقته معها يبحث عن ذلك الحب الذي يأتي بعد الجنس فلم يجده، و لأنه يثق بما يقول غارسيا ماركيز فقد اقتنع أنه لا يحبها. لكن فيم يهم ذلك؟ أليست هي تحبه ؟ هذا كافٍ.**
**" قد نحتاج من نحبهم مرة و لكننا نحتاج من يحبوننا ألف مرة"**
**قال في نفسه و هو يرتشف كوب قهوة من دون سكر على إيقاع موسيقى الجاز.**

**كانت الساعة تشير إلى العاشرة صباحا حين رنّ هاتفه بأغنية " بيلا تشاو " فأجاب بصوته الذي يشبه صوت الممثل آرون بول :**

**- مرحبا أمي**

**ردت والدته :**

**- مرحبا ابني، كيف حالك ؟**

**قال :**

**- على ما يرام**

**ردّت :**

**- شكرا للمسيح، هل تأخذ حقن الأنسولين في وقتها ؟**

**أجاب في ضيق صدر :**

**- نعم، نعم.**

**" لماذا تصرون على تذكيري أنني مريض بالسكري؟"، قال في نفسه و هو يقطع الاتصال.**

**أمه امرأة خمسينية تدعى تيريزا، تعيش بمدينة مانهاتن و مرتبطة بشاب في الثلاثينيات من عمره يدعى روبرت لا يحمل له رودريغو أي عاطفة، بل يجده شخصا وقحا يغتنم كل فرصة ليقول له :**

**- أمك ممتعة في الجنس، إنها ألذ من صديقتي السابقة إليانا رغم أنها كانت شابة في العشرين من عمرها.**

**فيبستم رودريغو و داخله يغلي من الغضب.**

**أما والده، إغناسيو كانيلا، فقد توفي حين كان في الخامسة من عمره إثر حادثة سير.**

**يعود أصل أسرة رودريغو إلى إسبانيا، حيث هاجر جده إلى الولايات المتحدة الأمريكية و بالضبط إلى ولاية كاليفورنيا التي ولد فيها و عشقها و لا يزال يعيش بها، بمدينة سان دييغو.**

*******

**رنّ هاتفه ثانية فوجد الاتصال من مديره في العمل جيمس ريفر، فتح الخط و أجاب قائلا :**

**- مرحبا سيدي**

**رد عليه الرجل قائلا :**

- **مرحبا رودريغو، أريد مقابلتك اليوم، سأنتظرك في مكتبي عند الساعة الحادية عشرة و النصف.**

**أجاب رودريغو :**

- **حسنا سيدي، سأكون هناك.**

**أغلق الخط ثم بدأ تحضير نفسه للذهاب، كان يعمل طبيبا بيطريا تابعا لمؤسسة FAP لحماية الحيوانات منذ سبع سنوات.**

**و هو في طريقه لمقابلة المدير اتصلت به كارولين، فتجاهل اتصالها في المرة الأولى لكنه لم يستطع تجاهله مرة ثانية حين عاودت الاتصال به فرد قائلا :**

- **مرحبا حبيبتي**

**جاء صوت كارولين من الهاتف مرتفعا :**

- **لو كنت حبيبتك، ما كنت لتتجاهل اتصالاتي و رسائلي و تتركني قلقة عليك هكذا**

**حاول تهدئتها قائلا :**

- **حبيبتي أنا مشغول، لدي اجتماع بعد نصف ساعة مع المدير.**

**قالت في غضب :**

- **أنت دائما مشغول رودريغو، دائما.**

**رد قائلا :**

- **أعتذر حبيبتي**

**فقالت دون اكتراث لاعتذاره :**

- **تبا لك رودريغو، تبا لك**

**ثم أغلقت الخط، فتبسم ضاحكا و قال :" حمقاء"، و ألقى الهاتف على المقعد المجاور، هي دائما هكذا حين تطمئن أنه بخير تسبه و تلعنه.**

*******

**عند الساعة الحادية عشرة و تسع و عشرين دقيقة كان رودريغو يقف أمام المدير جيمس ريفر، و قد كان رجلا طويل القامة أبيض البشرة، أشقر الشعر، ذا عيون زرق، جاوز الستين من عمره، حدّق في عيني رودريغو الزرقاوتين و قال مشيرا له بيده أن يجلس :**

- **كيف حالك رودريغو ؟**

**رد قائلا :**

- **بخير سيدي**

**قال المدير و هو يقلب أوراقا بين يديه :**

- **لقد دعوتك من أجل أمر عاجل**

**قال رودريغو :**

- **أنا جاهز سيدي، ما الأمر ؟**

**نظر إليه المدير و قال :**

- **كما تعلم منذ مدة بدأت الأسود في الانقراض من كل بقاع الأرض و بعد بحث طويل رصدنا أسدا يعيش في براري كينيا و نرغب في جلبه إلى هنا.**

**زمّ رودريغو شفتيه و قال :**

- **لقد أسعدني خبر العثور على أسد ما يزال على قيد الحياة، إنه لمن المؤسف أن تنقرض الأسود من هذا العالم.**

**ثم أردف بعد صمت قصير :**

- **لكن ما المطلوب مني ؟**

**قال المدير :**

- **كما تعلم رودريغو نحن لدينا لبؤتان هنا، لكن لا جدوى من وجودهما من دون أسد ذكر فإن فقدنا ذلك الأسد ستموت اللبؤتان و بالتالي لن نحظى برؤية أسد على كوكبنا مرة أخرى إلا في الصور و الوثائقيات، و قد اتصلت بمسؤول عن دائرة الحياة البرية الكينية و أكد لي أن شعب الماساي يهددون بقتل الأسد لأنه يهاجم مواشيهم.**

**أضاف المدير و هو يحك جبينه :**

- **لقد فكرنا بتشكيل فريق يذهب لإحضار الأسد إلى هنا و أريدك أن تكون على رأس الفريق.**

**عدّل رودريغو من جلسته و قال :**

- **كما تعلم سيدي أنا مريض و ...**

**ثم صمت دون أن يضيف شيئا، إذ أنه لا يحب الحديث عن مرضه و يزعجه تعاطف الناس معه، فقال المدير :**

- **أتفهم وضعك الصحي رودريغو، لكني فكرت طويلا و لا يوجد أفضل منك أجعله على رأس الفريق، أرجو أن تأخذ وقتا للتفكير و تتخذ قرارك.**

**-2-**

**كانت كارولين وحدها في شقتها كعادتها، تحضر نفسها للذهاب إلى العمل، ارتدت تنورة وردية و قميصا أبيض، كانت متوسطة الطول، ذات شعر ذهبي و عيون زرق، تشبه إلى حد بعيد الممثلة إيميليا كلارك.**

**تعمل منذ عامين كمحررة لإحدى دور النشر بعد طردها من عملها السابق حين تهجمت على المدير و صفعته لأنه وصفها بالعاهرة.**

**تبدو كارولين فتاة طائشة، لا تهتم لنتائج قراراتها و تصرفاتها كما يقول معظم أصدقائها، و هي لا تنكر ذلك على كل حال.**

**أخرجت هاتفها و هي ترتشف كوب قهوة و بعثت رسالة إلى رودريغو فلم يجبها، فانتابها شعور بالقلق و اتصلت به مرتين قبل أن يجيب و تنفجر في وجهه كعادتها و بعد جدال أغلقت الخط قائلة :**

- **تبا لك رودريغو**

**مسحت دمعة نزلت على خدها ثم تفتحت شفاهها عن ابتسامة اطمئنان، و أخرجت صورة له فتأملت وجهه الأبيض و عيونه الزرق و شعره الأشقر و**

**ابتسامته الفاتنة التي تذكرها بابتسامة ليوناردو ديكابريو في فيلم تيتانيك، قبّلت الصورة ثم انصرفت للعمل.**

**رودريغو هو أهم شيء في حياتها و بعد تشخيصه بالسكري قبل خمس سنوات لم تعد حياتها كما كانت، صارت قلقة طول الوقت تفكر بأسوأ السيناريوهات التي يمكن أن تحدث له و هي ليست معه :**

**" ماذا لو نسي أخذ الدواء في وقته؟" "**

**" ماذا لو لم يحقن نفسه بالأنسولين؟ "**

**" ماذا لو لم يتناول الطعام بكمية كافية أو تناول شيئا به سكريات؟"**

**تظل هذه الأسئلة تصدع دماغها في كل حين و ما يجرحها أكثر أنه يتضايق من قلقها عليه و اهتمامها به.**

**بلغت مقر العمل و فور جلوسها بمكتبها حضرت زميلتها في العمل و صديقتها سكايلر و هي فتاة ثرثارة مزعجة لا تصمت إلا لتبتلع ريقها و بعد أن سلمت عليها بسرعة قالت :**

**- لقد افترقت عنه !**

**ثم انهمرت دموعها فسألتها كارولين :**

**- من؟ فْلين ؟**

**ردت سكايلر باكية :**

**- لا ، أدريان.**

**تساءلت كارولين في ذهول :**

**- ماذا؟ و متى افترقت عن فلين؟**

**قالت سكايلر :**

**- الأسبوع الماضي.**

**قالت كارولين :**

**- يا للمسيح !**

**بينما واصلت سكايلر شكواها :**

**- لقد وصفني بالعاهرة، تخيلي**

**ثم دخلت في نوبة بكاء، لم تكن كارولين تعرف ما يجب عليها قوله لتهدئتها فهي تعلم أنها غدا ستنساه و سترتبط بآخر و تفترق عنه بعد أسبوع أو أسبوعين فلا أحد يتحمل البقاء مع هذه الفتاة الثرثارة ذات الصوت المزعج.**

**و أخيرا تنفست كارولين الصعداء حين قالت :**

**- لا أرغب في إزعاجك، سأنصرف الآن، نتحدث لاحقا.**

**أشارت لها كارولين مودعة ثم رسمت إشارة الصليب و فكرت :" كم ضاجعت هذه الفتاة من رجل ؟".**

**في المساء عادت إلى البيت و ارتشفت كوب قهوة ثم اتصلت بوالديها اللذين يعيشان منذ أربع سنوات بفرنسا للاطمئنان عليهما، و فكرت بعد ذلك أن عليها زيارة رودريغو فارتدت ملابسها و خرجت.**

**-3-**

**" الضباع هم الأعداء الحقيقيون "**

**ظلت هذه العبارة تتردد في أحلام رودريغو منذ فترة إذ يرى نفسه في المنام ساقطا على الأرض و حوله أحد عشر ضبعا ثم يسمع صوتا يشبه زئير الأسد يقول : " الضباع هم الأعداء الحقيقيون "، لم يجد تفسيرا للحلم و فكر أن سببه ربما هو إدمانه في السابق على مشاهدة الفيلم الكرتوني : الأسد الملك، و لم يرغب أيضا في إخبار كارولين بالأمر لأنها ستبالغ في الاهتمام لأمر هذا الحلم و ستسبب له إزعاجا أكثر مما سببه له.**

**كان جالسا لوحده في شقته يقرأ رواية الحب في زمن الكوليرا لغابرييل غارسيا ماركيز، كان يقرأ خمس صفحات في اليوم فقط لعدم رغبته في إتمام الرواية إذ يعتقد أن الأشياء الجميلة لا يجب أن تستهلك بسرعة.**

**أكمل الصفحة 65 ثم أغلق الكتاب، قعد صامتا لفترة قبل أن يركض نحو المرحاض ليتبول ثم عاد و معالم الراحة بادية على أساريره، شغّل أغنية hotel california لمجموعة eagles و أخذ يغني معها في انتشاء ثم سمع طرقات على الباب فأوقف الموسيقى سار نحو الباب بخطوات متثاقلة و حين فتحه وجد كارولين عنده فعانقته و تبادلا قبلة فدعاها للدخول و قال :**

- **كنت أنتظر زيارتك**

**نظرت إليه و قالت مبتسمة :**

- **هل اشتقت لي ؟**

**اقترب منها و قبّل خدّها قائلا :**

- **طبعا**

**ابتسمت في سذاجة طفولية و توجهت نحو المطبخ لتحضير القهوة، بينما شغّل رودريغو الموسيقى مرة أخرى، و سمعها تردد من المطبخ :**

**Welcome to the hotel California**

**Such a lovely place**

**Such a lovely face**

**قبل انتهاء الأغنية بثوان جاءت كارولين و في يديها كوبا قهوة، ناولته الكوب الذي كان بيدها اليمنى، و تذوقت الكوب الآخر بسرعة لتتأكد أنها أعطته الكوب الخالي من السكر، ثم جلست أمامه فنظر بين ساقيها و قال :**

- **هل ترتدين لباسا داخليا أحمر ؟**

**ضحكت بصوت مرتفع و قالت :**

- **كفّ عن التجسس على ملابسي الداخلية**

**فقال و هو يغمز لها :**

- **إن في ارتداء ملابس داخلية حمراء دعوة صريحة لي إلى ممارسة الحب و لا أفكر في رفض الدعوة.**

**ضحكت مرة أخرى و قالت :**

- **مجنون**

**ثم أخذا يرتشفان القهوة صامتين، ينظران إلى بعضهما البعض كأن هذا لقاءهما الأول.**

**وضع رودريغو الكوب جانبا و فتح فاه و قال :**

- **هناك أمر أود الحديث معك حوله يا كارولين.**

**وضعت كارولين الكوب جانبا بدورها و قالت في نبرة يشوبها القلق :**

- **نعم حبيبي، تحدث، كلّي آذان صاغية**

**اقترب منها و أمسك يدها و قال :**

- **لا شك أنك سمعت و قرأت أخبارا كثيرة هذه الأيام تتحدث عن انقراض الأسود ؟**

**أومأت برأسها و تابع رودريغو الكلام :**

- **لم يبق سوى لبؤتين تعيشان في مؤسسة FAP و أسد واحد يعيش بالسافانا الإفريقية، و تنوي المؤسسة إنقاذه و إحضاره إلى هنا كي يتزاوج مع اللبؤتين و ينجب أشبالا جديدة، لذلك شكلت فريقا و اختارني المدير أن أكون على رأس الفريق ...**

**قاطعته كارولين قائلة :**

- **ماذا ؟ هل ستذهب إلى أدغال إفريقيا ؟ هل جننت يا رودريغو ؟**

**رد رودريغو محاولا تهدئتها :**

- **أرجوك اسمعيني كارولين، لن أكون وحدي هناك فريق و أعدك أن أعتني بنفسي إنني لستُ طفلا صغيرا.**

**قامت من مكانها و قالت دون أن تستدير :**

- **إنك طفل بالنسبة لي رودريغو**

**و أضافت و هي تلتفت إليه :**

- **أنت طفلي الصغير مهما كبرت**

**شعر رودريغو أنه في ورطة حقيقية و لم يعرف أي سبيل يسلكه لإقناعها، لكن لم يكن عليه أن يظل صامتا طبعا فقال :**

- **يجب علي الذهاب كارولين إن الموضوع مهم**

**ثم أضاف :**

- **ثم إنني أرغب في فعل ذلك، احترمي رغبتي أرجوك.**

**وقعت كلماته في قلبها و شعرت بتعاطف نحوه فقالت :**

- **حسنا رودريغو، سأحترم رغبتك**

**فتنفس الصعداء قليلا قبل أن تضيف :**

- **و لكن بشرط واحد**

**تساءل في حذر :**

- **و ما هو ؟**

**قالت :**

- **أن أذهب معك**

**فانتفض قائلا :**

- **هل جننت كارولين؟ لا يمكنك ذلك، أرجوك كفّي عن هذا إنني لست طفلا صغيرا**

**اقتربت منه و عانقته ثم قالت :**

- **رودريغو حبيبي، لا يمكنني أبدا أن أسمح لك بالذهاب وحدك سأموت بالقلق هنا، افهمني أرجوك.**

**أمسك بكتفيها و قال :**

- **حسنا كارولين، حسنا، سأعرض الأمر على المدير و أنظر ما يقول.**

**قالت :**

- **شكرا حبيبي**

**ثم ضمته و راح يتبادلان القبل قبل أن تتسلل يده لتتحسس سروالها الداخلي.**

**-4-**

**كان صباحا جميلا بمدينة سان دييغو، ارتشف رودريغو قهوته الصباحية على مهل و قرأ صفحة واحدة من رواية الحب في زمن الكوليرا قبل أن يتوجه إلى العمل، و حين وصل وجد أن المدير لم يحضر بعد فانسحب لتبادل أطراف الحديث مع أحد الموظفين بالمؤسسة ريثما يصل.**

**مرت نصف ساعة فلم يأتِ فاتصل به مستفسرا إياه عن سبب التأخر معبرا له عن رغبته في الحديث إليه بشكل عاجل، فاعتذر المدير عن الحضور هذا الصباح بسبب ظرف طارئ و أكّد له أنه سيكون زوالا بمكتبه.**

**ودّع رودريغو زميله و انطلق يراقب الحيوانات المنتشرة في كل زوايا المؤسسة، ألقى التحية على أحد قردة الغوريلا قائلا :**

- **مرحبا جاك**

**كان القرد جاك صديقا مقربا لرودريغو تم إحضاره من غابات الكونغو و تمت معالجته على يدي رودريغو، فكان هذا الأخير يذهب إليه يكلمه كما يكلم إنسانا فيحكي له عن مشاكله و يشكو له همومه كما أنه الكائن الوحيد الذي يحدثه عن معاناته مع المرض، اقترب منه هذا الصباح أيضا و قال له :**

- **كيف حالك جاك ؟ أرجو أن تكون بخير، أما أنا فلست بخير ما زلت أصارع ضد السكري كما تعلم، سأرحل عنك لفترة، سأغادر بعيدا إلى موطنك، إلى السافانا الإفريقية، حيث سأحضر صديقا آخر.**

**ابتسم رودريغو و تابع :**

- هل تعلم لقد رغبت كارولين في مرافقتي، و لأكون صادقا معك يا جاك لم أستطع أن أقف في وجه رغبتها، كما أنني أود ذهابها معي، لقد نجحت في تحويلي إلى طفل لا يقدر على السفر من دونها.

ظل القرد يحدق به و شعر رودريغو أنه فهم و عقل كل ما قاله فودّعه قائلا :

- شكرا على وقتك جاك، إلى اللقاء أيها القرد الذكي.

واصل رودريغو جولته حتى وقع بصره على اللبؤتين الموضوعتين في قفصين متجاورين و اقترب من إحداهما فكشّرت عن أنيابها فقال :

- اهدئي أيتها اللبؤة الجميلة

لكنها لم تهتم لما قاله و واصلت النظر إليه في غضب، فقال مبتعدا عنها :

- حسنا، أنت لا ترغبين في وجودي، حسنا سأتركك و شأنك

ثمّ حوّل بصره إلى الأخرى و اقترب منها في حذر فلم تعره أدنى اهتمام و ظلت رابضة فاقترب منها أكثر و قال لها :

- كيف حالك أيتها اللبؤة الجميلة ؟

فوقفت و أخذت تتجول في القفص كأنها تستعرض نفسها أمامه، فتأملها و قال في إعجاب :

- رائعة

و قاطع تأمله صوت من ورائه قائلا :

- هل يمكنك أن تتخيل كيف سيكون شكل العالم من دون هذه الكائنات الرائعة ؟

التفت رودريغو فابتسم حين وجد أمامه رجلا طويلا قوي البنية، ذا شعر طويل، فقال في حفاوة :

- براندون

ثم صافح يده ليظهر له وشم عليها يحمل اسم والتر، فقال :

- كيف حالك ؟

**قال براندون :**

- **بخير، و أنت ؟**

**رد رودريغو :**

- **بأفضل حال، شكرا**

**و أردف :**

- **لقد كنت أمتّع بصري بالنظر إلى هذه اللبؤة.**

**قال براندون و هو يتأمل اللبؤة :**

- **إنها كائنات جميلة و قوية.**

**يعمل براندون بمؤسسة FAP منذ 11 عاما كطبيب بيطري، كما أنه مكلف بحمل بندقية التخدير أثناء عمليات أسر بعض الحيوانات نظرا لأنه يجيد التصويب، التفت إلى رودريغو و قال :**

- **هناك بريق أمل، لقد تمّ رصد أسد يعيش بالسافانا الإفريقية.**

**رد رودريغو :**

- **لقد علمت بالأمر، إنه فعلا خبر سار فعلا.**

**أومأ براندون برأسه و قال :**

- **نعم، كما أن المؤسسة قررت إحضاره إلى هنا من أجل الاعتناء به و تزاوجه مع اللبؤتين.**

**رد رودريغو :**

- **نعم، لقد أخبرني المدير بالموضوع و سأكون ضمن الفريق المكلف بأسر الأسد و إحضاره.**

**فغر فاه براندون و قال :**

- **حقا ؟ أنا أيضا سأكون ضمن الفريق.**

**ربّت رودريغو على كتفه قائلا :**

- لقد أسعدني سماع ذلك يا صديقي.

***

في منتصف النهار عاد رودريغو إلى بيته لتناول الطعام، فلا يخفى عليك أن المصاب بداء السكري يحتاج إلى الأكل بكثرة حتى لا تتدهور حالته الصحية، بعد ذلك قرأ صفحة أخرى من رواية الحب في زمن الكوليرا، ثم استلقى على الكنبة و نام بعمق زهاء الساعتين و استيقظ بعدما تجاوزت الساعة الثانية بعد الزوال بدقائق قليلة، وجد رسالة من المدير تقول : " أنا الآن في المكتب، حين تنهي أشغالك التحق بي "، لم يكن المدير يزعجه بالاتصال في هذه الأوقات تقديرا لوضعه الصحي و احتراما لشخصه و تفانيه في العمل، ردّ عليه برسالة قائلا :" حسنا سيدي، سأحضر بعد قليل".

عند الثانية و ثلاث و ثلاثين دقيقة بلغ رودريغو مكتب المدير جيمس ريفر و ألقى عليه التحية قائلا :

- مرحبا سيدي

ردّ المدير بحفاوة :

- أهلا رودريغو، كيف حالك ؟

أجاب رودريغو باقتضاب :

- بخير

دعاه المدير إلى الجلوس و قال :

- لقد طلبت أن تتحدث إلي، هل فكرت في الموضوع ؟

قال رودريغو :

- نعم سيدي، لقد فكرت و قررت الذهاب.

انفرجت أسارير المدير المدير ثم تجهم وجهه حين أضاف رودريغو :

- لكن بشرط

قال المدير بنبرة تنمّ عن عدم الراحة :

- ما هو ؟

عدّل رودريغو من جلسته و قال :

- أنا مريض كما تعلم و أحتاج رعاية، و أفضل أن تكون هذه الرعاية من شخص مقرب منّي و لا يوجد أفضل من كارولين في هذه الحالة.

أطرق المدير مفكرا، لم يكن باستطاعته رفض طلب رودريغو كما لم يكن قادرا على الاستغناء عنه و تعويضه بآخر، فقال بصوت متقطع :

- حسنا، حسنا رودريغو، يمكنك اصطحابها معك و أرجو أن لا تسبب لنا أي متاعب

أومأ رودريغو برأسه ثم وقف و صافحه قائلا :

- شكرا لك سيدي، شكرا على تفهمك، أعدك أن لا تسبب لنا أي مشكلة.

***

" لقد وافق "

بهذا الشكل المقتضب بعث رودريغو رسالة إلى كارولين يخبرها عن مخرجات نقاشه مع المدير، في الحقيقة لم يتوقع أن يوافق بتلك البساطة و دون أن يبدي أي اعتراض، ربما لأن ما يهمه حاليا هو أن يتم إنقاذ الأسد حتى و إن أخذ معه كارولين و أمه و روبرت.

" جميل، شكرا للمسيح، و شكرا لك حبيبي "

هكذا أجابت كارولين، فقال رودريغو في سره :

- لا أدري هل علي أن أشكر القدر لأنه منحني إياها أم علي أن ألعنه ؟

تناول الهاتف و ركّب رقم أمه فظل الهاتف يرنّ طويلا حتى همّ بقطع الاتصال، فجاءه صوت رجل يقول :

- **أهلا رودريغو، إن والدتك ليست هنا.**

**رد رودريغو :**

- **روبرت ؟ كيف حالك ؟**

**أجاب روبرت :**

- **بخير، شكرا لك، و أرجو أن تكون بخير أيضا**

**أجاب رودريغو :**

- **أنا بأفضل حال، أشكرك.**

**و تابع قائلا :**

- **حين تأتي أمي أخبرها أنني أودّ الحديث إليها.**

**رد روبرت :**

- **حسنا يا رجل، سأخبرها فور حضورها**
- **شكرا لك**

**قال روبرت ثم قطع الاتصال، و قعد يقرأ صفحات من رواية الحب في زمن الكوليرا، كان يقرأ بتؤدة و انتشاء كأنه يقرأ أبياتا لبابلو نيرودا أو كأنه يحتسي نبيذا خالصا، و قال في سره :**

- **لا يعادل القراءة لماركيز و أمثاله من الكتّاب العظام إلا ممارسة الجنس!**

**و حاول أن يأتي بتشبيه أفضل فقال :**

- **بل إن القراءة لأمثال هؤلاء لا يشابه سحرها إلا قراءة كلام الرب في الكتاب المقدس**

**رنّ الهاتف فقطع تأملاته و فتح الخط و أجاب :**

- **مرحبا أمي**

**ردت أمه :**

- مرحبا رودريغو، كيف حالك ؟

رد قائلا :

- بخير

و أردف :

- هناك أمر أريد أخبارك به

قالت في فضول :

- ما هو ؟

قال :

- سأسافر إلى إفريقيا لقد تم تكليفي بمهمة

رسمت أمه إشارة الصليب و قالت :

- إفريقيا ؟ أي مهمة هذه ؟

أجاب رودريغو :

- سنقوم بإنقاذ أسد و نحضره لمؤسسة FAP

قالت أمه محتجة :

- منذ متى صرت صائد أسود ؟ حبيبي أنت طبيب، ألا يمكن للمؤسسة أن تعين غيرك ؟

قال :

- أمي لقد وافقت على تسلم المهمة و انتهى الأمر

و تابع مهدئا من نبرة صوته :

- كما أن كارولين ستسافر معي

و على عكس توقعه لم تغضب أمه بل أطلقت تنهيدة تنمّ عن شعور بالراحة و قالت :

- حمدا للرب، هكذا سأكون مطمئنة أكثر لأنها ستعتني بك

**قال متهكما :**

**- أمي لم أعد أرتدي الحفاظات منذ ثلاثين عاما**

**فقالت :**

**- لا تزال طفلا صغيرا في عيني حتى و إن بلغت خمسين عاما**

**و أردفت :**

**- متى ستسافر ؟**

**قال :**

**- الأسبوع القادم على الأرجح**

**ردت قائلة :**

**- حسنا، سآتي أنا و روبرت لوداعك.**

**ودّ لو يقول لها أن لا تحضر روبرت لكنه تراجع لعدم رغبته في دخول جدال معها، فقال منهيا الاتصال :**

**- إلى اللقاء أمي.**

*******

**قبل الرحلة بيوم واحد، دعا المدير أعضاء الفريق إلى اجتماع بينهم قصد التعارف، و قد حضر رودريغو باكرا و كذلك براندون و جلسا يتبادلان أطراف الحديث بإحدى قاعات المؤسسة، ينتظران قدوم باقي أعضاء الفريق.**

**قال رودريغو لبراندون المنشغل بهاتفه :**

**- هل لديك فكرة عمن سيرافقنا ؟**

**رد براندون دون أن يرفع رأسه عن هاتفه :**

**- ليس تماما، لكن أظن أن المدير اتصل بمصوريْن**

**قال رودريغو مستغربا :**

**- مصوران ؟ و ما فائدتهما في هذه العملية ؟**

**رد براندون :**

- **و هل تريد أن تمر عملية إنقاذ آخر أسد على الأرض دون توثيق ؟**

**زمّ رودريغو شفتيه و قال :**

- **صدقت، لا بد من توثيقها.**

**لم يمر وقت طويل قبل أن يسمعا طرقات هادئة على الباب ثم دلف إليهما رجل و امرأة، كان الرجل معتدل القامة، وسيم الوجه، يرتدي تيشرت أبيض مطبوع عليه صورته و هو يحمل كاميرا، و قد كانت المرأة في مثل طوله، ذات شعر أشقر و ترتدي قميصا أبيض و سروال جينز أزرق، قال الرجل في حفاوة :**

- **مرحبا، أنا جو ويلسون مصور أفلام وثائقية.**

**قال براندون و رودريغو بصوت واحد :**

- **مرحبا جو**

**و تابع جو قائلا و هو يشير إلى مرافقته :**

- **و هذه حبيبتي و مساعدتي سكارليت**

**أومأ رودريغو برأسه فيما قال براندون :**

- **مرحبا سكارليت**

**ردت سكارليت :**

- **شكرا لك**

**قال براندون :**

- **أنا براندون، طبيب بيطري، سأكون المكلف ببندقية التخدير في هذه العملية**

**ثم نظر إلى رودريغو كإشارة له ليقدم نفسه، فقال رودريغو :**

- **أنا رودريغو كانيلا، طبيب بيطري أيضا.**

**قال جو :**

- رودريغو؟ أنت من كلفك المدير بإدارة العملية؟

ابتسم رودريغو دون أن يقول شيئا و تابع جو متوجها بالحديث إلى براندون :

- أخبرني يا بران، ألا يوجد أعضاء غيرنا ؟

رد براندون :

- بلى، ما يزال هناك عضو آخر، سيلتحق قريبا.

رد جو و هو يجلس على أحد كراسي القاعة و مشيرا لسكارليت أيضا بالجلوس :

- يعني أننا خمسة

رفع رودريغو رأسه و قال مصححا :

- بل ستة

قال براندون في استغراب :

- من السادس ؟

ردّ رودريغو باقتضاب :

- - حبيبتي كارولين.

زمّ جو شفتيه و كذلك فعلت سكارليت، بينما عاد براندون لتصفح هاتفه و ساد بينهم صمت طويل، لم يقطعه إلا دخول فتاة عشرينية، قصيرة القامة، ذات صدر و أرداف مكتنزة، شقراء الشعر، زرقاء العينين، بيضاء كسحاب الصيف، ترتدي قميصا ورديا جعلها تبدو أشد بياضا، و تلبس قلادة يتعلق بها حرف A محاط بدائرة، ألقت عليهم التحية ثم عرّفت بنفسها قائلة :

- أنا إميليا، سأكون ضمن الفريق و دوري يتلخص في كتابة تقرير عن العملية.

تأملها الجميع صامتين فشعرت ببعض الإحراج مما دفع رودريغو لمحاولة رفعه عنها قائلا :

- يشرفنا وجودك معنا يا إيميليا.

ثم حدّق طويلا في قلادتها.

***

عاد رودريغو في المساء إلى بيته منهكا، فاستقلى على أول كنبة قابلها و أغمض عينيه فأخذته سنة من النوم، و رأى الحلم الذي أخذ يراوده منذ مدة، لم تتغير مشاهد الحلم إطلاقا : يرى نفسه ساقطا على الأرض و حوله إحدى عشر ضبعا يفتحون أفواههم استعدادا للانقضاض عليه ثم يسمع صوتا كزئير الأسد يقول : " الضباع هم الأعداء الحقيقيون".

استيقظ من حلمه مذعورا فرسم إشارة الصليب قائلا :" متى ستتركني أحلام الأطفال هذه ؟"، و تذكر أنه لم يتناول الدواء و لم يأخذ حقن الأنسولين، فقال هازئا بنفسه :" لو علمت كارولين بذلك لقتلتني قبل أن يقتلني السكري"، فقاوم للوقوف، كان يبدو و كأنه تعرض لهجوم ضباع فعلا، توجه إلى المطبخ مفتشا عن أي شيء يؤكل فالتهم كل ما عثر عليه ثم سار نحو الحمام فأخذ حقنة أنسولين ليذهب إلى غرفته بعد ذلك و يستلقي على سريره دون أن يغير ملابسه فتذكر قول كارولين له و هي تنصحه : " لا تنم بملابس العمل"، قال في نفسه : " حسنا" ثم غط في نوم عميق.

غسلت الشمس وجه سماء مدينة سان دييغو، و كان المنبه على بعد دقيقتين من البدء في الرنين لإيقاظ رودريغو الذي دأب على ضبطه على الساعة السابعة و الربع صباحا، حينها ارتفع صوت طرقات على الباب لم تترك له حظا للنجاة من ضجيجها و لو بوضع المخدة على أذنيه، فقذف بنفسه خارج السرير و سار بخطوات متثاقلة نحو الباب فأخذ المنبه في الرنين بدوره فصرح رودريغو في الطارق بغضب :" انتظر، أنا قادم".

لما فتح الباب وجد أمه لديه و خلفها يقف روبرت بقامته الطويلة و ابتسامته العريضة، فقال لها بصوت فيه نبرة عتاب :

- أمي !

لكنها لم تهتم بعتابه بل ضمته قائلة :

- ولدي الحبيب، كم اشتقت لك.

و صافحه روبرت قائلا :

- كيف حالك يا رجل ؟

أومأ برأسه و قال بصوت فيه بقية من نعاس :

- تفضلا بالدخول

سار أمامهما فأنبته أمه قائلة :

- لماذا تنام بملابس العمل !؟

رد عليها دون أن يلتفت :

- لقد أصبحت نسخة مطابقة لكارولين يا أمي

دخل الحمام فغسل وجهه ثم حضّر حقنة أنسولين و كشف عن فخذه الأيسر الذي صار يبدو كغربال من أثر الحقن عليه.

غرز شوكة الإبرة ثم ضغط على المكبس و هو يغمض عينيه متألما و يمد عنقه كأن أحدا ما يسحبه من رأسه.

حين غادر الحمام و توجه إلى المطبخ وجد أمه تتبادل القبل مع روبرت فرجع إلى غرفة نومه ساخطا، غيّر ملابسه و مشّط شعره فصار يبدو أكثر وسامة ثم خرج إلى فناء البيت فجاءت أمه بكأس عصير و قطعة خبز فتناول فطوره شاكرا لها ثم حزم حقائقبه و حضّر نفسه للذهاب قائلا :

- وداعا أمي تمني لي حظا طيبا

فعانقته بعينين دامعتين و قالت :

- فليحفظك الرب

و عانقه روبرت بحرارة تنم عن حب صادق و قال :

- عد إلينا بخير

ثم أضاف بابتسامة ممزوجة بالألم :

- و لا تعد من دون الأسد

ترك رودريغو مفتاح بيته بين يدي أمه ثم خرج، فوقف عن باب الباب مسندا ظهره إلى الجدار و بكى بحرقة كأنه طفل صغير يفارق أمه لأول مرة ليلتحق

**بالمدرسة الابتدائية، أخرج صليبا من جيبه فقبّله و صلى في نفسه ثم مسح دموعه و حمل الحقائب و انطلق.**

**-6-**

**كان المدير جيمس ريفر ينتصب بقامته الطويلة بين أعضاء الفريق يعطي توصياته حين دخل رودريغو حاملا حقائبه و علامات الإرهاق بادية عليه، و انهار على أول كرسي صادفه و سارع براندون إلى إحضار كأس ماء و قال المدير بنبرة عتاب :**

**- ترفّق بنفسك يا رودريغو، و احرص على حمل قنينة ماء معك**

**أشار برأسه دون أن ينبس بكلمة، و تأمل الحضور فتساءل :**

**- ألم تأتِ كارولين بعد؟**

**رد براندون :**

**- ليس بعد، حتى إيميليا لم تأتِ**

**قطّب رودريغو حاجبيه كأنه سمع اسمها لأول مرة و همّ بقول شيء ما لولا أن دخلت كارولين التي ركضت نحوه في ذعر قائلة :**

**- رودريغو؟ ما بك ؟**

**رد بصوت متقطع و أنفاس متسارعة و هو يربّت على كتفها :**

**- لا شيء، لقد حملت حقائب ثقيلة فقط**

**قالت في غضب :**

**- لن يقتلك السكري، بل ستقتل نفسك لا محالة، بعنادك و صلابة رأسك**

**فأشار لها المدير بالكف عن هذا الكلام فأوشكت على إجابته لولا أن تذكرت وصية رودريغو لها بعدم إثارة المشاكل.**

**مراقبا للمشهد بصمت كان جو يقف إلى جانب سكارليت يلقي نظرات متتالية على ساعته في ضجر ثم قال بعدما نفذ صبره :**

- **هل اتصل أحدكم بإيميليا ؟**

**فقال :**

- **ستحضر قريبا، لنواصل حديثنا ريثما ...**

**و لم يكمل كلامه حتى دخلت إيميليا تحمل حقيبة أغراضها و تحمل أيضا كيسا كبيرا من الأعذار و الحجج عن سبب تأخرها أفرغته أمامهم و يبدو أن لا أحد اهتم بأعذارها، فتابع المدير :**

- **تذكروا أيها السادة أن هذه أهم عملية في تاريخ هذه المؤسسة، أرجو أن تحرصوا أشد الحرص على نجاحها و لا ريب أن التاريخ سيخلد أسماءكم بكونكم من أنقذ الأسود من الانقراض، كل أسد سيسير مستقبلا على هذا الكوكب، كل إنسان سيمتع عينه بالنظر إليه سيكون مدينا لكم، شاكرا لتضيحيتكم.**

**أومأ الجميع برؤوسهم و ضربوا كفوف بعضهم البعض في حماس.**

*******

- **تشبهين إلى حد بعيد الممثلة إيميليا كلارك في شبابها**

**قالت إيميليا لكارولين الجالسة في مقعد مجاور، فردّت عليها :**

- **شكرا لك، أنت أيضا جميلة جدا**

**كانت الساعة حينها تشير إلى الحادية عشرة صباحا، كانوا موزعين على مقاعد طائرة خاصة تابعة للمؤسسة، كان رودريغو يجلس في المقاعد الأمامية بجواره كارولين و في مقعدين محاديين تجلس إيمليا وحدها و خلفها يجلس جو بجانب سكارليت التي أسندت رأسها على كتفه، و خلف رودريغو و كارولين كان براندون يتفحص هاتفه و يبدو كأبله و هو يبتسم وحده.**

**عند الحادية عشرة و النصف أقلعت بهم الطائرة إلى كينيا، إلى أدغال إفريقيا.**

# الفصل الثاني

# الأسد الأخير

**ليس أقوى أفراد النوع هو الذي يبقى و لا أكثرهم ذكاء، بل أقدرهم على التأقلم مع المتغيرات.**

**تشارلز داروين**

## ***الوثائقي الأول***

**نهر أوكافانغو، بوتسوانا**

**سنة 2051**

**حين يفيض نهر أوكافانغو في بوتسوانا يصير مكانا مليئا بالوفرة و الجمال و الألوان، تركض الأيائل و الغزلان و الحمر الوحشية في كل مكان و تحلق الطيور في جميع أجوائه.**

**حين يفيض نهر أوكافانغو يصير الماء سلطان كل شيء، يعطي الحرية المطلقة لبعض الحيوانات و يقيد البعض الآخر، يتيح ساحات جديدة للمعارك، و يوفّر أيضا أهدافا كثيرة للمفترسات و على رأسها الأسود، التي قلّ عددها جدا حتى كاد ينعدم فلم يبق منها إلا لبؤة واحدة مع ثلاثة أشبال.**

**قبل فيضان النهر بساعات كانت اللبؤة تتجول على ضفافه بحثا عن صيد تطعم بها أشبالها، فلمحت قطيع جواميس، و الجاموس يبقى آخر حيوان تفكّر الأسود في صيده، لكن اللبؤة كانت جائعة جدا و أشبالها تواجه خطر الموت، و لأن الجوع للأكل مثل الجوع للجنس يطفئ نور العقل و الحكمة فقد هاجمت اللبؤة أحد العجول مما أثار غضب الجواميس فهجمت عليها و أخذت تمزق جسدها بقرونها الحادة و تحولت اللبؤة من صائد إلى فريسة، أسقطوها أرضا و أمعنوا في تمزيق جسمها ثم تركوها ممددّة و شبح الموت يخيم عليها، خلعوا كتفها و كسروا كاحلها و جرحوا بطنها و فخذها جرحا بالغا.**

**مرت ساعات دون أن تتمكن اللبؤة من الاستواء على سيقانها، قاومت الضعف و الألم، و في الصباح الباكر من اليوم التالي تمكنت من الوقوف أخيرا، كان**

**كتفها بدأ يتماثل للشفاء بينما كاحلها لا زال يؤلمها كثيرا، تأملت المشهد أمامها كان مختلفا عما تركته عليه بالأمس، فقد فاض نهر أوكافانغو و ارتفع ماؤه حتى تدفق على الضفاف.**

**بدأت اللبؤة تزأر حين تذكرت أن أشبالها على الضفة الأخرى من النهر، ماذا تفعل الآن؟ هل تغامر باجتياز النهر؟، نعم، لا مناص، فلا فائدة لحياتها من دون أشبالها، و لا يمكنها تعويض خسارتهم فلم يعد هناك أي أسد تتزواج معه لتنجب أشبالا جديدة، اقتربت من النهر و بحثت عن مكان ينخفض فيه الماء قليلا ثم تقدمت نحوه و هي ترفع قائمتها الأمامية المصابة و تمشي على ثلاث، اجتازت النهر و الماء يكاد يغمر جسمها بالكامل، لم يكن يعنيها أن تتحول إلى سمكة أو تمساح أو فرس نهر، ما يهمها فقط هو أن تعبر النهر لتبقى لبؤة في أعين أشبالها الثلاثة.**

**حين بلغت مكان الأشبال اكتشفت أن الأعين التي كانت تطمح أن تنظر إليها بفخر و اعتزاز قد نقص منها اثنان و لم تبق سوى أربع عيون.**

**مات شبلها الذكر و نجت الأنثيان، اقتربت من جثة الشبل الميت و قلبته برجلها اليسرى و لحست وبره بلسانها أملا في نهوضه و حين استيأست منه نظرت إلى شبليها الناجيين في عطف و حنان و أدركت أن عليها أن تصطاد شيئا، أي شيء تطعمهما به.**

**مياه الفيضان جلبت نحوها قطيع ظباء، كانت الظباء مرحة تركض داخل المياه في سعادة و حيوية، فيما كانت اللبؤة تراقب دون حركة، ملاحقة الظباء احتمال غير وارد إذ لم تعد ماهرة في الركض الآن، فقررت الاختباء تحت الماء، فلن تتوقع الظباء اختباء أسد تحت الماء لذلك ظلت تركض و تلعب و تمرح دون اكتراث للخطر المتربص بها، و فجأة اقترب ظبي من مكان اللبؤة فانبعثت من تحت الماء كما تنبعث العنقاء من تحت الرماد في أساطير القدماء، أسقطت الظبي بضربة قوية برجلها اليسرى ثم غرزت أنيابها في عنقه فامتزجت دماؤه بماء النهر لتجرّه بعد ذلك إلى شبليها لعلهما يزودان جسمهما بالطاقة اللازمة.**

**لقد قاومت إعاقتها و تحدث الصعاب بشجاعة و صبر نادر، في لغة بوتسوانا يسمون تحدي الإعاقة : فِتِكْسا، لذلك سنطلق على هذه اللبؤة اسم "فتكسا" تقديرا لمجهودها و تضحيتها و تحديها لإعاقتها.**

**مرّت الأيّام و بدأ الشبلان يشبان عن الطوق و يكبران و يتحولان شيئا فشيئا إلى لبؤتين بالغتين قادرتين على الاعتماد على نفسيهما.**

**كانت اللبؤة فتكسا تربض على ضفاف نهر أوكافانغو – الذي بدأ ماؤه ينخفض – تراقب ابنتيها، كل سنتمتر في جسمهما يحكي عن تضحيتها و قتالها، عن عبورها النهر على ثلاث قوائم، عن صيدها بكتف مخلوع و كاحل مكسور، إن ابنتيها دليل صارخ على قصة نجاحها العظيمة، لقد حققت معجزة و قامت من تحت الأنقاض.**

## ***الوثائقي الثاني***

**-1-**

**منطقة الماساي مارا**

**كينيا**

**2051**

**يعيش شعب الماساي في كينيا و شمال تنزانيا و تعرف هذه القبائل بصائدي الأسود حيث على كل شاب أراد أن يثبت نفسه و يبرهن أنه أصبح رجلا أن يقتل أسدا، و ينسب لهذا الشعب أحد أنواع الأسود و هو أسد الماساي.**
**هنا في براري كينيا، يعيش قطيع ماكولو المكون من أسد و لبؤتين و خمسة أشبال، تتكلف اللبؤتان بمهمة الصيد بينما يتولى الأسد حماية المملكة.**
**ذات يوم كان الأسد يتجول في البراري و حدث أن صادف جماعة من شباب الماساي و لسوء حظ هذا الأسد كان هؤلاء الشباب يرغبون في إثبات أنفسهم لأهل القبيلة باصطياد أسد كما هي عاداتهم، فتربصوا به ثم رماه أحدهم برمح فأخطأه و ركض الأسد بعيدا محاولا النجاة لكن رمحا ثانيا تم تسديده بدقة فانغرز في عنقه غير تارك له أي فرصة للنجاة.**
**ظلت اللبؤتان تنظران الأسد مدة طويلة فلم يعد، لتقررا العيش وحدهما مع أشبالهما الخمسة، لم يكن في استطاعتهما الحفاظ على مملكة الأسد، إذ بمجرد غيابه ساد الخوف و الرعب في المملكة المتوحشة و صار قطاع الطرق كالضباع و الكلاب البرية يعيثون فسادا، لكن اللبؤتين حافظتا على التحامهما و تعاونهما على الصيد، و من سوء حظهما أن هاجما ذات مرة قطيعا من الجواميس و افترستا أحد صغارها مما هيّج غضب الجواميس و هجمت على قطيع الأسود ليلا فقتلت شبلين و جرحت شبلا ثالثا جرحا بليغا معطية بذلك**

**درسا مجانيا للأشبال و اللبؤتين بعدم العبث مرة أخرى مع هذه الأبقار الخطيرة.**
**حملت اللبؤتان الشبلين الناجيين و ابتعدتا عن مكان الهجوم، و برغم محاولتهما إنقاذ الشبل الثالث الجريح لم تنجحا، فظل وحده يصارع و يقاوم جراحه دون جدوى إذ هجمت عليه أنثى ضبع فقتلته.**
**توالت الأيام الصعبة على قطيع ماكولو و ماتت إحدى اللبؤتين و ظلت واحدة فقط تصارع كي ينجو الشبلان و بفضل صبرها و تحملها نجحت في ذلك و كبر الشبلان حتى صارا أسدين بالغين قويين لتفارق اللبؤة الحياة مطمئنة على مصير سلالتها.**
**ظل الأسدان الشقيقان - و دعنا نسمي أحدهما نيوما و الآخر بومبا - يعيشان معا و يصطادان سوية، و لكنهما نسيا درس الماضي حول الجواميس فهاجما قطيعا و اصطاد جاموسا و قد كان ثمن الصيد غاليا إذ غرز الجاموس قرنه في صدر الأسد بومبا فمات متأثرا بجراحه و ظل أخوه نيوما يعيش وحيدا يتجول في البراري بحثا عن رفيق دون أن يدرك أنه الأسد الوحيد الذي ظل يسير على كوكب الأرض.**

**-2-**

**النسور تدل على الجثث، هذه قاعدة يعرفها الأسد نيوما- الذي عاش في البراري منذ كان شبلا - جيدا، لذلك حين رأى مجموعة من النسور تحلق فوق منطقة ما ركض نحوها مسرعا قبل أن يتباطأ فور اقترابه منها ثم وقف يستطلع فرأى زرافة واقفة و بجانبها مولودها الصغير ساقطا على الأرض، كان على الأرجح ميتا كما اعتقد الأسد، و رأى حول الزرافة مجموعة من الضباع يحاولون الانقضاض على صغيرها الميت ليأكلوه و كانت الزرافة تضرب الأرض برجليها بقوة بغية إخافتهم لكن الضباع كانوا مصرين على افتراس الصغير الميت، و بعيدا عن هذا المشهد الدرامي كان هناك مجموعة من الكلاب البرية تراقب ما ستسفر عنه هذه المواجهة.**
**زأر الأسد منبئا بحضوره ثم تقدم نحوهم مسرعا، ركضت الضباع حين تجلى و ودعت الزرافة صغيرها بنظرة طويلة حزينة ثم ابتعدت فلا طاقة لها بمواجهة أسد، يمكنها الوقوف في وجه عشرين ضبعا لكن لا تستطيع أن تجابه أسدا واحدا جائعا.**
**اقترب الأسد من الصغير الممدد على الأرض و بدأ في التهامه بتؤدة فيما ظل**

**الضباع يحدقون به بنظرة يملؤها الخوف و الحذر و المقت الشديد، فلم يعرهم أدنى اهتمام، و هل يكترث الملك لمجموعة من قطاع الطرق ؟ خصوصا إذا كان هو الملك الوحيد الذي ظل على وجه الأرض تخضع له كل براري السافانا الإفريقية.**
**أكمل تناول وجبته و زوّد جسده بالطاقة التي يحتاجها ثم نظف فمه بلسانه و انطلق بخطى متثاقلة تنبئ عن اعتزاز بالنفس، و أخذ يزأر ذات اليمين و ذات و الشمال، لو كان يدري ما الكلام لقال :" أنا الملك هنا، أنا سيد هذه البراري".**

**-3-**

**لتدير مملكة تحتاج إلى أعوان، و هذا ما افتقده الأسد نيوما، كان في حاجة لأنياب أكثر و مخالب أكثر، كيف سيكون ملكا و هو مضطر للركض بنفسه خلف الفرائس ؟ بل حتى هذه المهمة لم يكن قادرا عليها لذلك ظل يتتبع طرق الصيادين كالنمور و الكلاب البرية ليستولي على صيدها، منذ تلك اللحظة فقد شرعيته كملك و استحال إلى قاطع طريق كباقي قطاع الطرق مثل الضباع، لقد صار ضبعا في جسد أسد!**
**لا يكفي المظهر لتكون أسدا، بل يجب أن تكون أسدا في جوهرك، في أسلوب عيشك، في نبلك.**

# الفصل الثالث

# في قلب البرية

**المحرك الجبار الذي يدفع العالم إلى الأمام ليس قصص الحب السعيدة , بل تلك التي اقترنت بالمآسي.**

**جابرييل جارسيا ماركيز**

**-1-**

**" هذا المكان كالجنة "**

**قال رودريغو و هو يتأمل براري كينيا، منذ وصوله قبل يومين و هو يجول رفقة أعضاء الفريق ليكتشفوا المكان و يتمتعوا بهذه المناظر الخلابة قبل أن يعودوا مساء إلى الفندق، و قد قابل مسؤولين عن " دائرة الحياة البرية الكينية" و قابل أيضا شيخ قبيلة الماساي الذي طلب منه أن يجد حلا للأسد قبل أن يقتلوه لأنه يأكل بعض مواشيهم و لولا أن السلطات الكينية أخبرتهم أنه آخر أسد بقي يعيش في العالم لقتلوه، فطمأنه رودريغو بأنهم سيأخذونه إلى الولايات المتحدة الأمريكية.**

**حين سمعت إميليا وصف رودريغو لهذا المكان بالجنة ردت عليه قائلة :**

- **قد يبدو من بعيد جنة أما في الحقيقة فهذه البراري ليست سوى ساحة كبرى للمعارك من أجل البقاء.**

**قال جو و هو يلتقط بعض الصور :**

- **ما رأيكم أن نغادر الفندق و نتخذ لنا مسكنا في هذه البراري ؟**

**صرخت سكارليت التي كانت تحمل منظارا تتفحص به البراري الشاسعة :**

- **ماذا ؟**

**و تابع جو قائلا :**

- **ألم نحضر معنا كل ما نحتاجه ؟**

**ضحك الجميع ما عدا رودريغو و قالت إيميليا :**

- منذ قليل فقط أخبرتك أن هذه البراري مجرد ساحات قتال بين الحيوانات !

رد جو متهكما :

- اوه شكرا على المعلومة، كنت أعتقد أن الحيوانات تعيش أيضا في فنادق و أحياء راقية و تتناول طعامها بالسكين و الشوكة و ترقص في الليل بشكل جماعي على إيقاع أغنية my kingdom come

ردت إميليا :

- كف عن هذا التهريج يا جو

مستندا إلى السيارة و هو صامت كان براندون يتابع المشهد، بينما قالت كارولين و هي ترسم إشارة الصليب :

- إن مجرد التفكير في قضاء ليلة هنا يبث الرعب في قلب الإنسان

ثم التفت إلى رودريغو و قالت :

- أليس كذلك رودريغو ؟

لكن جوابه كان مفاجئا حين قال :

- أنا أوافق جو في فكرته

صرخت كارولين غير مصدقة :

- ماذا ؟ لا بد أنك جننت.

رد رودريغو بنبرة هادئة :

- هذا يدخل في إطار العملية

ثم خاطب الجميع بصوت عالٍ :

- استعدوا يا رفاق، سنبيت الليلة في البرية.

حدّقت به كارولين في غضب، فيم أخرج براندون سيجارة و أخذ يدخن في شراهة و واصل جو التقاطه للصور قائلا :

- صدقت يا رودريغو، هذا المكان كالجنة

**و علّقت إيميليا ساخرة :**

**- انتظر حتى تصبح طعاما للضباع لتعرف حقيقة جنتك المزعومة.**

**و همست كارولين لرودريغو قائلة :**

**- حبيبي، المبيت في البراري مخاطرة كبيرة**

**نظر في عينيها مبتسما ثم قبّل شفتيها و قال :**

**- ليس و أنت معي**

**و فجأة صرخت سكارليت :**

**- تعال يا جو انظر**

**ركض جو نحوها و تناول المنظار فرأى مجموعة من الكلاب البرية تحاصر وعلا يحاول بيأس الخلاص منها بضرب رجله على الأرض و التهديد بطعنها بقرونه، تناوب الفريق على النظر إلى المشهد الذي زاد إثارة حين تمكنت الكلاب من إسقاط الوعل لتدخل فجأة الضباع إلى ساحة المعركة و تبدأ حرب بالأنياب و المخالب انتصرت فيها الضباع و استولت على الصيد.**

**تبادل أعضاء الفريق نظرات الخوف و الرعب و الدهشة دون كلام.**

**-2-**

**في الليل تغدو السافانا الإفريقية عالما آخر، عالما يعمه الهدوء، لكنه هدوء ملغوم ينبئك أن عليك البقاء متيقظا و حذرا كي لا تصير وجبة للمفترسات الضارية.**

**في غمرة هذا الهدوء و الجو الشاعري نصب الفريق خيمة كبيرة بغية قضاء الليلة وسط البرية، علقوا مصباحا كبيرا أعلى الخيمة أضاء كل زواياها و كشف عن مسرح الأحداث الدائرة بها، حيث كان براندون يجلس في الركن يمسك هاتفه بين يديه و يلعن بين الفينة و الأخرى الاتصال المنقطع بشكل متكرر، و**

**في وسط الخيمة كان جو يلعب الشطرنج مع سكارليت، و في ركن آخر كان رودريغو يجلس مسندا ظهره إلى الخيمة باسطا رجليه لتتخذهما كارولين وسادة و يقرأ في رواية الحب في زمن الكوليرا و في الركن المقابل له كانت إيميليا تلتهم سندويشا حضرتها بنفسها .**

**قالت إميليا و هي تمضغ آخر لقمة من السندويش :**

**- كيف وجدتم يا رفاق هذه الحياة البدائية ؟**

**قال براندون دون أن يرفع بصره عن هاتفه :**

**- لقد أحببتها**

**و علّق جو ساخرا :**

**- و هل كان الإنسان البدائي يلعب الشطرنج ؟**

**و أضاف مشيرا إلى رودريغو :**

**- أو يقرأ الكتب**

**قال رودريغو و هو يغلق الكتاب :**

**- أتعلمون أنا أحسد الإنسان البدائي !**

**رفعت إليه كارولين بصره و قطبت إميليا حاجبيها و قالت :**

**- تحسده ؟**

**قال رودريغو مفسرا :**

**- نعم، لقد كانت حياته سهلة بسيطة : يستيقظ في الصباح وقتما يشاء فيحمل رمحه و يجول في البراري و الغابات ليصطاد أرنبا أو غزالا ثم يعود إلى كهفه، لم يكن مضطرا ليستقظ في ساعة محددة كي يذهب للعمل لم تكن تشغل تفكيره فواتير الكراء و الكهرباء و الأنترنت، لم يكن قلقا على جيبه أو حسابه البنكي كم فيه من دولار .**

**و أضاف بعد صمت قصير :**

**- لقد أصبحت حياة الإنسان اليوم أكثر صعوبة، صرنا مجرد آلات مبرمجة نكد و نعمل طول الوقت ليجني غيرنا ملايين الدولارات، هل كان الإنسان البدائي يركض صباحا ليصطاد أرنبا من أجل الآخرين؟ كلا، لقد كان يملك أهم ما فقدناه نحن اليوم و هو الحرية.**

**قاطعته إيميليا قائلة :**

**- لكن حياة الإنسان البدائي كانت مليئة بالخطر، فهو كان محاصرا بالموت و الخوف في كل مكان و زمان.**

**رد رودريغو :**

**- و هل حياتنا اليوم ليست كذلك؟ بلى، نحن أيضا محاصرون بالموت من كل مكان، فالآلاف يموتون يوميا بسبب الأمراض و حوادث السير و الحروب و جرائم القتل.**

**قال جو :**

**- أوافقك الرأي رودريغو، لطالما كانت حياة الإنسان صراعا من أجل البقاء.**

**ردت إميليا :**

**- ربما كلامك صحيح، لكني أفضل أن أعمل كآلة ثم أعود مساء إلى بيتي و أجلس مطمئنة آكل سندويشا، على أن أعيش في كهف و أجري كل يوم لأطارد الأرانب.**

**في تلك اللحظة قامت سكارليت بحركة أخيرة ليموت الشاه و صاح جو :**

**- كلا، لقد خسرت.**

**و قالت سكارليت ساخرة :**

**- إن الشطرنج لعبة الأذكياء يا حبيبي**

**فضحك الجميع بصوت عالٍ، و التفتت إيميليا إلى براندون و قالت :**

**- لماذا لا تشاركنا الحديث يا بران؟ أراك منشغلا بهاتفك طول الوقت.**

**رد براندون :**

**- إنه شأن عائلي**

**قالت :**

**- اوه، آسفة.**

**و خاطبها جو قائلا :**

**- ماذا يعني ذلك الرمز على قلادتك؟**

**همت أن تجيب فسبقها رودريغو قائلا :**

**- إنه رمز الإلحاد**

**حدّق الجميع في إميليا و رفعت كارولين رأسها و قالت :**

**- هل أنت ملحدة حقا ؟**

**رد باقتضاب :**

**- نعم**

**و تابعت :**

**- قرأت في كل الأديان السماوية و إلى الآن لم أقتنع بأي منها**

**فتحت حقيبتها و أخرجت ثلاثة كتب رفعت الأول و قالت :**

**- هذا الكتاب المقدس العهد القديم.**

**و رفعت الثاني قائلة :**
**- و هذا الكتاب المقدس العهد الجديد**
**ثم الثالث :**
**- و هذا القرآن**
**علقت سكارليت قائلة :**
**- من وجدت منهم الأقرب أن يكون كتابا سماويا ؟**
**ردت إميليا :**
**- أعتقد أن كل هذه الكتب مجهودات بشرية، مثلها مثل الإلياذة أو ملحمة جلجامش أو رواية الحب في زمن الكوليرا**
**لم يجب أحد بينما اكتفى رودريغو بالقول :**
**- أخالفك الرأي**
**بينما قال جو :**
**- أظن أن الإنسان لا يستطيع العيش من غير دين، فالإنسان كائن متدين، و لا يخفى عليكم أن الدين ظهر فور ظهور الإنسان و توجد أدلة قوية أن إنسان نياندرتال كان متدينا و كان يدفن موتاه.**
**ردت إميليا :**
**- أخالفك الرأي، أنا أعتقد أن الإنسان كائن خائف، خوفه من المجهول هو ما دفعه إلى تكوين أساطير حول الوجود تطورت فيما بعد لتصبح أديانا، و لقد أثبت العلم بما لا يدع مجالا للشك أن تلك القصص مجرد ترهات، ألم ينسف داروين فكرة خلق الإنسان من طين من أساسها ؟**
**ردّ جو :**
**- لا أعتقد أنه فعل ذلك، فما يدريك أن التطور هو طريقة الله في خلقه ؟**
**ردت قائلة :**
**- الكتب المقدسة تزعم غير ذلك.**
**خيّم الصمت مرة أخرى على الخيمة، فاعترى رودريغو شعور بعدم الراحة و قرّر تبديد الصمت فقال :**
**- من يرغب منكم بسماع الموسيقى ؟**
**رفع الجميع يده ما عدا براندون، فخاطبه رودريغو قائلا :**
**- هل لديك أي اعتراض يا براندون على تشغيل الموسيقى ؟**
**قال :**
**- لا طبعا.**

**بعد ثواني ارتفع صوت أغنية فندق كاليفورنيا لمجموعة ايغلز، فقالت إيميليا :**
**- أحب هذه الأغنية**
**ردت كارولين :**
**- إنها أغنيتنا أنا و رودريغو**
**قالت إميليا في إعجاب :**
**- اوه، هذا رومانسي**
**و ألقت سكارليت على كارولين سؤالا :**
**- منذ متى و أنتما مرتبطان ؟**
**ردت كارولين و هي تداعب شعر رودريغو :**
**- منذ سبع سنوات**
**قالت إيميليا :**
**- هل تعتقدان أنكما ستظلان معا للأبد ؟**
**ردت كارولين :**
**- نعم، ما دام يجمعنا حب حقيقي**
**تساءلت إيميليا :**
**- و ما هو الحب الحقيقي ؟**
**أخفض رودريغو صوت الموسيقى قليلا و قالت كارولين :**
**- لا أعلم، أظن أن الحب هو الرغبة في البقاء مع أحدهم طول الوقت**
**و قال جو :**
**- في رأيي أن الحب اكتفاء، أن تكتفي بشخص دون العالمين**
**و قالت سكارليت :**
**- الحب هو ...**
**و قاطعها براندون قائلا :**
**- في رأيي لا يوجد حب، كلها شهوات.**
**تابعت سكارليت :**
**- الحب يبقى تجربة شخصية لكل واحد منا، لذلك يصعب تفسيره.**
**و قال رودريغو رافعا الكتاب الذي بين يديه :**
**- قرأت مرة عبارة لماركيز أظنها أعطت التعريف الدقيق للحب حيث قال : الحب هو ما يبقى من الحب بعد الجنس.**
**أومأ جو برأسه فيما فكّر براندون قليلا و قال :**
**- إذن كما قلت لا يوجد حب**

**فقالت سكارليت :**
**- لماذا ؟**
**فسألها قائلا :**
**- هل سبق و شعرت بالحب بعد الجنس ؟**
**ظلت صامتة فيما توجّه براندون بالحديث إلى رودريغو قائلا :**
**- و أنت يا رودريغو ؟**
**قال رودريغو :**
**- أظن أن ...**
**فقاطعته كارولين :**
**- طبعا يشعر به، و إلا لما بقينا معا كل هذه المدة، أليس كذلك رودريغو ؟**
**أجاب :**
**- نعم**
**و قالت إيميليا :**
**- مهما كان تعريف الحب فإن فكرة الارتباط بشخص للأبد ترعبني**
**انتصب رودريغو واقفا فجأة و غادر الخيمة ابتعد بضعة أمتار عنها و أخذ يتبول، كان محاطا بالأعشاب الصفراء الطويلة و فكّر للحظة أنه مراقب من طرف حيوان مفترس فارتعش جسمه، و عاد أدراجه إلى الخيمة.**
**حين دخل سمع إيميليا تقول مخاطبة جو :**
**- لقد عشت الكثير من المغامرات الجميلة يا جو في البراري، ما هي اللحظة التي ظلت راسخة في عقلك؟**
**فكّر جو قليلا ثم قال :**
**- هناك لحظتان في الحقيقة، الأولى حين قضينا أكثر من ثلاثة شهر في سهول المارشز في شمال الأرجنتين لتصوير لحظة صيد لنمر الجاكوار، لقد كانت تجربة جميلة جدا، أليس كذلك سكارليت ؟**
**قال سكارليت :**
**- نعم.**
**و تابع جو :**
**- و هناك تجربة أخرى حزينة في شمال كندا حين قمت بتصوير اصطياد مجموعة من الذئاب لأحد عجول البيسن، لقد قاوم ذلك العجل طويلا و ركض مئات الأمتار وسط الثلوج العميقة دون جدوى، ظل يصرخ و الذئاب تمزق لحمه، لقد أثر فيّ المشهد كثيرا و أجشهت بالبكاء.**

**ربّتت سكارليت على كتفه، فقال :**
**- إن الطبيعة لا ترحم أبدا، إن أردت البقاء فعليك أن تكون أقوى من أعدائك.**
**قالت إيميليا :**
**- هذا ينطبق على حياتنا أيضا**
**و قالت كارولين :**
**- أنا أكره الحيوانات المفترسة، إنها كائنات لا ترحم**
**و قال جو :**
**- لا عتب على عليها، إن تتصرف وفقا لغريزتها فقط، إن لم تصطد و تقتل فلن تعيش، و لا تعتقدي أن حياة المفترسات سهلة، بل حياتهم أصعب بكثير إنهم مضطرون كل يوم للركض خلف الفرائس و نصب الكمائن و القتال أيضا ضد مفترسات أخرى للحفاظ على الصيد و الغنائم.**

**قال رودريغو :**

- **أنا أيضا أشفق عليهم، ليس سهلا أن تكون مضطرا للقتل كي تعيش**

**فجأة سمعوا وقع أقدام ضخمة تقترب من الخيمة، و أخذت الأرض تهتز من تحتهم كأن زلزالا بقوة درجتين على سلم ريشتر قد ضربها، فجحظت أعينهم و بلغت قلوبهم الحناجر، و رفع براندون بندقية و حشاها بالرصاص بينما اقترب رودريغو من باب الخيمة بحذر و ألقى نظرة على الخارج حيث الظلام الشديد فشعر بجسم ضخم يقترب منهم، طلب مصباحا بصوت منخفض ثم أضاء أمامه ليتجلى له جسم فيل ضخم فهمس قائلا :**

- **إنه فيل**

**ركض جو مسرعا فأحضر الكاميرا و بدأ في تصوير الفيل الذي غيّر مساره مبتعدا عنهم، و قالت إيميليا :**

- **إنه حيوان ضخم**

**راقبوه لفترة حتى أيقنوا من ذهابه ثم عادوا جميعا إلى داخل الخيمة، فقال براندون :**

- **أخشى أن يجلب حضوره هنا بعض المفترسات التي لن تكون ودودة معنا**

**رد عليه رودريغو :**

- لا تخش شيئا يا براندون، لا يوجد حيوان مفترس أخطر من الإنسان

انفجر البقية ضاحكين و علّق جو ساخرا :

- يمكنك النوم و أنت تحتضن البندقية يا براندون

ضحك الجميع ثم قال رودريغو :

- هيّا يا رفاق، لقد حان وقت النوم، غدا لدينا عمل شاق

رفع رودريغو و كارولين ستارة في الركن الداخلي للخيمة، فيما رفعت إيميليا أيصا ستارة بيضاء في الركن المقابل و كذلك فعل جو و سكارليت في الركن الموحود على يسار باب الخيمة، و في الركن الأيمن رفع براندون ستارة سوداء، ثم استلقى كل في فراشه طلبا للنوم.

ظلّت إيميليا تتقلّب في فراشها يعتريها شعور بالخوف و القلق، و لم تكن الوشوشات و التأوهات القادمة من فراش جو و سكارليت أو من فراش رودريغو و كارولين كافية لتبدد شعورها بالوحدة و الخوف، فانتصبت واقفة و توجهت إلى فراش براندون مستعينة بضوء الهاتف، رفعت الستارة السوداء فوجدت براندون مستلقيا على ظهره فاتحا عينيه، لم يندهش من مجيئها و قالت له هامسة :

- هل أنت لم تستطع النوم ؟

قال :

- نعم، لكن ليس بسبب الخوف مثلك

ابتسمت و قالت :

- صدقت إنني أشعر بالخوف

و تابعت :

- هل تسمح لي بالنوم في جوارك ؟

ردّ و هو يفسح لها مجالا :

- نعم، مرحبا بك

**استلقت بجانبه صامتة، ثم همست له قائلة :**

- **أراك منشغلا بهاتفك طول الوقت**

**قال و هو يحدّق في سقف الخيمة :**

- **أتحدث إلى ابني**

**فغر فاها و قالت :**

- **لديك ابن ؟**

**رد قائلا :**

- **نعم، عمره ست سنوات، و اسمه والتر**

**قالت :**

- **اسم جميل**

**ثم تساءلت :**

- **هل يعيش مع أمه :**

**أشار برأسه نافيا و قال :**

- **لقد هجرتنا منذ عامين، تعرفت على شاب من مانهاتن فأحبته و هاجرت معه.**

**قالت في نبرة تعاطف :**

- **آسفة**

**اغرورقت عيناه بالدموع و قال :**

- **ابني مصاب بالسرطان**

**و تابع و قد صار صوته مخنوقا بالدموع :**

- **لذلك أنا قلق طول الوقت و أتحدث إلى الخادمة التي تعتني به باستمرار لأطمئن على حاله**

**حضنت إيميليا رأسه و قالت مواسية :**

**- سيكون كل شيء على مايرام، حاول فقط أن تكون إيجابيا**

**أومأ برأسه و قد بلّلت دموعه صدرها.**

*******

**كان رودريغو يغط في نوم عميق و هو يحضن كارولين، راوده حلم الضباع مرة أخرى فاستيقظ مذعورا و هو يتصبب عرقا، و نهضت كارولين مذعورة بدورها فأشعلت مصباحا كان بجانبها و قالت بصوت مرتفع :**

**- رودريغو ما بك ؟**

**رد قائلا :**

**- لا شيء لقد رأيت حلما مزعجا فقط.**

**و أضاف محاولا طمأنتها :**

**- يبدو أن ما رأيناه اليوم في البراري قد أثر علي**

**فقالت له معاتبة :**

**- لقد قلت لك يا حبيبي أن المبيت هنا فكرة متهورة**

**حضنها و قال :**

**- كفاك عتابا حبيبتي، استمتعي باللحظة**

**قالت و هي تداعب شعره :**

**- كيف أستمتع و أنت بهذه الحال ؟**

**قال مبتسما :**

**- أنا بألف خير، أنام في حضنك في هذه البراري بعيدا عن العالم.**

**حضنته بقوة معبرة له عن حبها الكبير و عن خشيتها فقدانه ذات يوم، فقبّل شفتيها و قال :**

- سنظل معا للأبد حبيبتي

و تساءلت قائلة :

- هل تحبني رودريغو ؟

رد و هو يغمض عينه :

- أكثر مما تتصورين.

-3-

مع أول أشعة الصباح استيقظ الفريق بأكمله كان الكل على ما يرام ما عدا براندون الذي كان يشعر بصداع في رأسه، تناولوا الفطور أمام باب الخيمة وسط أجواء من المرح، ثم طووا الخيمة و جمعوا كل الأغراض داخل صندوق السيارة التي كانت تقودها إيميليا و هي سيارة سوداء رباعية الدفع، فيما كان رودريغو يقود شاحنة صغيرة تحمل قفصا جلبوه لأجل الأسد ليضعوه فيه بعد أسره.

همست سكارليت لإيميليا قائلة :

- هل ضاجعت براندون البارحة ؟

نظرت إليها في استغراب و قالت :

- ألا يمكن لامرأة أن تنام بجانب رجل دون أن يمارسا الجنس، لا تكوني متخلفة يا سكارليت

ابتسمت سكارليت و تابعت إيميليا :

- لقد كنت خائفة فالتجأت إليه، هذا كل ما في الأمر.

ركبت إيميليا السيارة و في المقعدين الخلفيين جلس جو و سكارليت، فيم جلس رودريغو أما مقود الشاحنة و بجانبه كارولين، أما براندون فقد ظل يقف خارج السيارة منشغلا بهاتفه حتى صرخ فيه جو :

- هيا يا براندون، دع ذلك الهاتف يرتاح قليلا

التفت إليه إيميليا و قالت بنبرة زاجرة :

- دعه و شأنه !

**فقال جو متهكما :**

**- يبدو أن ليلة البارحة بدأت تعطي ثمارها !**

**لكمته سكارليت على كتفه و قالت :**

**- لا تكن وقحا**

**صعد براندون إلى السيارة مصفر الوجه شارد الذهن، و جلس في المقعد المجاور لإيميليا، فوضعت يدها على يديه و قالت :**

**- هل أنت بخير ؟**

**أومأ برأسه فيما حدّق فيهما جو و سكارليت في ريبة.**

**انطلقت إيميليا بالسيارة في براري كينيا تتبعها الشاحنة، كان جو يلتقط بعض الصور من نافذة السيارة قبل أن يطلب من إيميليا الوقوف فصعد أعلى السيارة و ثبّت كاميرا ثم قام بتشغليها و عاد إلى داخل السيارة مشيرا بيده إلى رودريغو الواقف خلفهم بالشاحنة ثم قال :**

**- أريد تسجيل كل لحظة في هذه الجولة**

**تناول منظارا و أخذ يراقب من جهة اليمين فيما كانت سكارليت تراقب جهة اليسار، أما إيميليا فكانت تقود الشاحنة بتركيز و ترمق بين الفينة و الأخرى وجه براندون الممتقع.**

**في الشاحنة، كان رودريغو و كارولين يستمعان لموسيقى شعب الماساي، ألقت كارولين ببصرها تتفحص البراري الشاسعة فقالت في انبهار :**

**- انظر إلى سرب الطيور ذاك**

**التفت رودريغو عن يمينه فرأى مجموعة من النسور تحلق حول مكان ما، و فكّر أنها تكوف حول حيوان مفترس يلتهم صيده، و قال نفسه :" ماذا لو كان الأسد!".**

**استعمل المنبه الصوتي لتنبيه إيميليا التي توقفت فور سماعه، خرج الجميع من السيارة، و ترجّل رودريغو من الشاحنة فتلقفته إيميليا بسؤال :**

**- ماذا هناك يا رودريغو ؟ لماذا توقفنا ؟**

**رد قائلا و هو يشير إلى سرب النسور :**

- هل ترون أولئك النسور ؟
- نظر الجميع إلى حيث أشار و قال جو :
- - إني أراهم

و تابع :

- تجمع النسور بهذا الشكل يدل أنها رصدت جثة أو تراقب حيوانا مفترسا يأكل صيده

رد رودريغو :

- هذا ما فكّرتُ به

ثم خاطب سكارليت قائلا :

- اعطني المنظار من فضلك

ناولته إياه قائلة :

- تفضل

صعد رودريغو أعلى السيارة و أخذ يراقب المكان الذي تتجمع به النسور فرأى مجموعة من الضباع تتجمع حول شيء ما، ثم اقشعر جسمه حين لمح أسدا يفترس جثة، فصاح بأعلى صوته :

- إني أراه، إنه هناك.

تسارعت أنفاس الجميع و قالت إيميليا :

- الأسد ؟

و ركض جو نحوه فصعد السيارة و ألقى نظرة و قال :

- إني أراه أيضا، هذا يومنا المشهود.

ثم صاح بمرح :

- قادمون أيها الأسد

-4-

**احتاج الفريق زهاء نصف ساعة كي يصل للمكان الذي رصدوه بالمنظار، قالت إيميليا:**

- **لماذا لا يتم إدخال هذه البراري إلى نظام GPS؟ قد يحتاج المرء يوما كاملا ليصل إلى مكان يبعد عنه بخمسين ياردة !**

**رد جو قائلا :**

- **هذه هي متعة البراري**

**تفحص رودريغو المكان ببصره و قال :**

- **لقد رحل الأسد من هنا**

**رد جو :**

- **ربما يذهب للبحث عن الماء**

**اقتربت كارولين من مكان الفريسة الذي ظلت به بعض العظام فقط فاعتراها شعور بالرعب، ثم لمحت أثر الأسد فقالت :**

- **تعالوا ألقوا نظرة**

**تجمعوا حولها فقال جو :**

- **يجب أن نقتفي أثره لكي نجده**

**و تابع :**

- **أسرعوا يا رفاق**

**ركبوا جميعا ثم انطلقوا عبر الطريق الذي ظنوا أن الأسد سلكه، ساروا لعدة أميال، دون أن يجدوا شيئا، و توقفوا قليلا للراحة و التشاور، كانت الأعشاب الصفراء الطويلة تحيط بهم من كل مكان، و قال جو مشيرا إليها :**

- **إن هذه الأعشاب مكان مثالي لاختباء الأسد.**

**حرك رودريغو رأسه في يأس و قال :**

- **ليس من السهل العثور على أسد اعتاد العيش متخفيا بين هذه البراري**

**و قالت إيميليا :**

**- مع ذلك علينا أن نتابع البحث، قد يحالفنا الحظ و نعثر عليه.**

**قال رودريغو :**

**- نعم، هيا يا رفاق لنتابع السير للأمام رجاء أن نصادفه.**

**ساروا لمدة عشر دقائق قبل أن يتوقف رودريغو و يترجل من الشاحنة، سألته كارولين :**

**- أين تريد ؟**

**فهمس لها :**

**- سأذهب للتبول**

**أوقفت إيميليا السيارة حين شعرت بوقوفه و عادت للخلف ببطء.**

**سار رودريغو بجانب أعشاب صفراء يقارب طولها المتر و نصف، و توقف عند شجرة أكاسيا و أخذ يتبول و شعور الراحة يسري في كل عروقه.**

**ألقت كارولين نظرة على المكان الذي يقف به رودريغو فاعتراها شعور بعدم الراحة، فنزلت من الشاحنة، نظرت إلى إيميليا و ابتسمت ثم اقتربت ببطء من رودريغو بينما نزلت إيميليا بدورها و أخذت تراقبهما باهتمام.**

**أحس رودريغو بحركة خلفه فالتفت بحذر، ارتجف قلبه ثم اطمأن حين رأى كارولين فحزم سرواله و استدار نحوها مبتسما، قبل أن يتوقف فجأة و ينظر يساره في ذعر و أشار إلى كارولين أن تقف و لما همّ بالركض انقض عليه مفترس فأسقطه أرضا بعنف و مزّقت مخالبه قميصه عند الكتف و انغرزت عميقا في لحمه، صرخت كارولين بأعلى صوتها حين رأت الأسد يهاجم رودريغو :**

**- لا**

**كان الأسد نيوما يزمجر غضبا و نظر بقية الفريق إليه بأعين جاحظة، و صرخ رودريغو :**

**- اهربي كارولين، اهربي**

**و صرخت إيميليا في براندون :**

- بندقية التخدير ؟ أين بندقية التخدير؟

لكن براندون كان ينظر إلى هاتفه جاحظ العينين ثم أخذ يضربه على السيارة و يصيح :

- لا، لا.

أما جو فهتف قائلا :

- خدروا الأسد، خدّروا الأسد

و سكارليت تشده من ثيابه باكية و تقول :

- سيأكلنا جميعا جو، هيا نهرب.

كان رودريغو لا يزال يقاوم الأسد داعيا كارولين إلى الهروب لكنها لم تستجب دعاءه، و ركضت نحو الأسد و دفعته بيدها دون شعور قائلة :

- ابتعد عنه أيها الوحش

لينقض عليها و يمزق ثيابها حتى تجلى نهداها، و صاح رودريغو :

- لا، كارولين

و قاوم ليقف، في تلك اللحظة و بعدما استيأست إميليا من براندون، ركضت نحو الشاحنة و جلبت بندقية محشوة بالرصاص ثم صوّبت نحو الأسد الذي أوشك على تمزيق لحم كارولين، لما رآها رودريغو تصوب نحو الأسد أشار إليها أن تتوقف بينما كانت كارولين تستغيث :

- أنقذني يا رودريغو

اتخذت إميليا قرارها و صوبت نحو عنق الأسد و ضغطت على الزناد، لكن رودريغو لم يكن ليسمح بقتل الأسد فارتمى بجسمه أمام الرصاصة فاخترقت بطنه و انهار على الأرض، و في الوقت ذاته أسقط الأسد كارولين على الأرض و عضها عضة قوية على عنقها فمزّق أوردتها، ثم زأر غضبا و ركض نحو إميليا التي ظلت تضغط على الزناد في يأس دون أن تدري أن البندقية كانت محشوة برصاصة واحدة فقط، ألقت البندقية أرضا و جرت نحو السيارة، أدارت المفتاح ثم قادت بسرعة و جو يصرخ قائلا :

- ماذا فعلت ؟ أيتها العاهرة، لقد تسببت في قتلهما

**ردت و البصاق يتطاير من فمها :**

- **و ماذا فعلت أنت أيها الجبان ؟، لقد ظللت تتفرج عليهما و الأسد يمزق لحمهما.**

**ركض الأسد خلفهم مدة ليتأكد من رحيلهم ثم عاد أدراجه.**

**كان الدم يسيل من بطن رودريغو مثل شلال، فزحف مقتربا من كارولين و وضع رأسها بين يديه و صرخ في ألم :**

- **لا، كارولين، أرجوك استيقظي، كارولين !**

**استلقى على ظهره و أخذ يبكي بحرقة، كان مشهد كارولين و أوردة عنقها ممزقة و عيناها جاحظتان أكثر إيلاما له من الرصاصة، و فجأة أحس بحركة حوله فاستدار على جنبه بالأيمن ليجد مجموعة من الضباع قد أحاطوا به و اللعاب يسيل من أفواههم، كان منظرهم بشعا يثير الرعب، أغمض عينيه منتظرا انقضاضهم عليه، قبل أن يسمع صوت زئير يقترب منه، فتح عينيه فرأى الضباع قد أخذت تبتعد ثم تجلى أمامه الأسد، نظر في عينيه مباشرة فاقترب منه و اشتم رائحته ثم استدار و ركض مبتعدا.**

**أغمض رودريغو عينيه و قال في نفسه :" هذا تفسير الحلم الذي راودني لأسابيع "، و مدّ يده إلى يد كارولين ثم غاب عن الوعي.**

**-5-**

**أوقفت إيميليا السيارة حين شعرت بعودة الأسد، أدارت المقود بعنف نحو اليسار ثم قفلت راجعة إلى المكان الذي هاجم فيه الأسد رودريغو، فصرخت فيها سكارليت :**

- **ماذا تفعلين ؟**

**ردت قائلة و قد ضاق بؤبؤ عينيها :**

- **سأعود**

**واصلت سكارليت احتجاجها صارخة :**

- **هل جننت؟ هل نعود ليقتلنا الأسد جميعا ؟**

**و التفتت إلى جو متوسلة :**

- **أرجوك يا جو، افعل شيئا**

**أمسك جو بيديها و قال :**

- **اهدئي حبيبتي، إن إيميليا محقة، علينا أن نعود لنعرف مصير رفاقنا، ثم إننا في مأمن ما دمنا داخل السيارة**

**تبادل النظرات مع إيميليا التي كانت تراقبه من مرآة السيارة الداخلية، أسندت سكارليت رأسها على كتفه و دخلت في نوبة بكاء، أما براندون فكان يضع رأسه بين يديه و يبكي بحرقة.**

**توقفت إميليا بالسيارة أمام الشاحنة التي لم تزل حيث تركها رودريغو، همّت بالنزول فمنعها جو و فتح باب السيارة بحذر و همس قائلا :**

- **سأصعد أعلى سيارة و أراقب المكان، إن شعرتُ بأي خطر سأعلمك لتنطلقي .**

**اعتلى جو السيارة و أخذ يراقب المكان في كل اتجاه عبر المنظار، لاح له طيف الأسد يسير شمالا و قد ابتعد مسافة تجعلهم في مأمن فقفز أرضا و قال :**

**- هيّا انزلوا، لقد رحل الأسد**

**نزلت إميليا و امتنعت سكارليت عن النزول بتحريك رأسها يمينا و يسارا، فيم ظل براندون واضعا رأسه بين يديه، فنظر إليه جو في غضب ثم اتجه نحوه مسرعا ففتح باب السيارة و جذبه من قميصه و ألقى به على الأرض و شتمه قائلا :**

**- لولا انشغالك بهاتفك ما افترس الأسد رفيقينا يا ابن العاهرة !**

**اتخذ براندون ذراعه الأيسر عكازا و انتصب واقفا ثم لكمه لكمة قوية على وجهه اقتلعته من الأرض ليسقط على ظهره، و صرخ فيه و الدموع تنهمر من عينيه بغزارة :**

**- لقد مات ابني، مات ابني الوحيد**

**نظرت إليه إميليا في شفقة ثم اقتربت منه و تناولت رأسه بين يديها و قالت :**

**- آسفة من أجلك يا براندون، لكن عليك أن تكون قويا من أجله**

**أومأ برأسه و هو يبكي بحرقة، فقال جو معتذرا :**

**- آسف يا بران، لم أكن أعرف**

**رد براندون باكيا :**

**- لقد سرقه السرطان مني، لن أراه مرة أخرى، تركني والتر للأبد.**

**اقترب منه جو و قال و هو يربّت على كتفه :**

**- هيا يا بران فأنت رجل مؤمن و تعلم أن هناك حياة أخرى حيث ستجتمع بابنك**

**و حاولت إميليا مواساته أيضا فقالت :**

**- ابق قويا و مؤمنا يا بران**

**ثم التفتت إلى جو و تابعت :**

- الآن علينا أن نأخذ جثتي رودريغو و كارولين لا نتركهما هنا لتأكلهما الضباع

أومأ جو برأسه و كذلك فعل براندون، و تساءل جو و قد اتسعت حدقتا عينيه :

- ماذا لو كان الأسد قد أكل الجثتين ؟

ردت إيميليا :

- لا يمكن ذلك، لا يمكنه التهام جثتين في هذا الوقت القصير.

و تابعت و هي تتقدم نحو مكان الجثتين :

- هيا بنا، علينا أن نأخذهما قبل أن تجذب رائحة الدم بعض المفترسات

ساروا بحذر شديد، فيما ظلت سكارليت بالسيارة و قد شبكت يديها و وضعت جبينها عليهما للصلاة.

بلغت إيميليا مكان الجثتين أولا فوضعت يدها على فمها و قاومت دموعها ثم همست قائلة :

- أسرعا لنحمل الجثتين إلى السيارة.

حمل براندون جثة كارولين و هو يشيح بوجهه عنها، و حين قلب جو جسد رودريغو لاحظ أن بطنه ترتفع و تنخفض ببطء فسارع إلى قياس نبضه ثم رفع رأسه إلى إميليا و قال :

- إنه حي !

قعدت على ركبتيها و وضعت يدها على أوردة عنقه، فأخذت تضحك و الدموع تنهمر من عينيها، و قال جو :

- علينا إنقاذه.

حمله على ظهره و ركض به نحو الشاحنة، و لحقت به إميليا بسرعة ففتحت القفص و أدخلوه إليه.

طلب براندون من سكارليت النزول و وضع جثة كارولين و قام بتغطيتها، ثم استند على باب السيارة و أخرج سيجارة فأشعلها و أخذ يدخن .

**مزّق جو قميص رودريغو و ركضت إميليا نحو السيارة فأحضرت بعض المعدات و نادى جو سكارليت قائلا :**

**- تعالي إلى هنا يا سكارليت، ساعديني في إخراج الرصاصة من جسمه**

**صعدت القفص و قالت في ذهول :**

**- أما زال حيا ؟**

**رد جو :**

**- نعم، هيا ساعديني أرجوك، كي ننقذ حياته.**

**أخذت إميليا تحدق في جسد رودريغو النازف ثم انتصبت واقفة و قفزت أرضا و أغلقت القفص و توجهت نحو السيارة ففتح صندوقها و أخرجت منه بندقية التخدير و بندقية صيد، و سارت نحو القفص و نادت جو قائلة :**

**- أخبرني يا جو، في أي اتجاه ذهب الأسد؟**

**رد جو و هو يتأملها :**

**- ماذا تصنعين؟**

**قالت :**

**- سأحضر الأسد**

**نظر إليها في استغراب و قال :**

**- هل جننت ؟**

**صوبت البندقية نحوه و قالت :**

**- لديك خياران، إما أن تخبرني و إما أن أفجر دماغك برصاصة !**

**حدّق بها بعض الوقت ثم قال مشيرا بيده :**

**- لقد اتجه شمالا**

**فقالت :**

**- أخرجوا الرصاصة من جسمه، و انتظروا عودتي بعد قليل لنرحل من هنا.**

**و عادت نحو السيارة تتبعها نظرات جو و سكارليت، طلبت من براندون الابتعاد عن السيارة فقال :**

**- إن هذه فكرة متهورة**

**فصوبت نحوه أيضا و قالت :**

**- ابتعد يا بران، لا أرغب في إطلاق النار عليك.**

**ألقى بعقب السيجارة أرضا و دعسه بقدمه ثم ابتعد و هو ينظر إليها نظرة ذات معنى، فقالت له و هي تركب السيارة :**

**- ادخل إلى القفص لتبقى في أمان.**

**ثم أدارت المفتاح و قادت بسرعة متجهة شمالا.**

*******

**قادت مدة عشر دقائق قبل أن تلمح الأسد و هو يقف على بعد مائة متر منها، أخذت بندقية التخدير و نزلت من السيارة و اقتربت منه بحذر شديد و حين صارت على بعد يسمح لها بالتصويب، صوبت نحوه فأصابت عنقه، انتفض الأسد حين أصابت الرصاصة المخدرة جسمه و أخذ يزأر و هو يلتفت يمينا و شمالا، استقلت إميليا أرضا حتى لا يراها، فظل يطوف بقربها مدة خمس دقائق قبل أن تخذله رجلاه و ينهار على الأرض، سارت نحوه بخطى حذرة، ألقت عليه نظرة لتتأكد من تخديره ثم أخذت تفكر بما عليها فعله، و قبل أن تتوصل إلى فكرة سديدة شعرت باقتراب شيء ما، و بمجرد التفاتها يمنة رأت ضبعا يقترب منها مكشرا عن أنيابه لتكتشف أنها محاطة بالضباع من كل جانب، أخذت خطوتين للوراء ببطء ثم أطلقت ساقيها للريح باتجاه السيارة و ركضت خلفها الضباع مسرعة، حين بلغت السيارة فتحت الباب و رمت بنفسها داخلها، في تلك اللحظة وصل أحد الضباع فعض رجلها و لحسن حظها أنها جذبتها بسرعة ثم أغلقت الباب، لكن العضة خلفت أثرا بليغا و ألما لا يطاق.**

**عادت الضباع نحو الأسد المُخدّر فاتسعت حدقتا عينيّ إيميليا حين لاحظت أن الضباع تستعد لافتراسه، أدارت مفتاح السيارة و قالت :**

**- أنتم غير مهددين بالانقراض أيها الوحوش !**

**قادت بسرعة كبيرة نحو قطيع الضباع فصدمت ثلاثة منها و فرّ البقية بعيدا.**

**نزلت من السيارة فوجدت أحد الضباع ما زال يقاوم جراحه و يئن فتناولت البندقية و أطلقت رصاصة على رأسه فسكن عن الحركة تماما، نظرت مليا إلى الأسد الممدد و قد كان الدم يسيل من ظهره فاستنتجت أن أحد الضباع قام بعضه، أطرقت مفكرة ثم توجهت نحو صندوق السيارة فأخرجت حبلا و ربطت رجليّ الأسد الخلفيتين ثم ربطت الحبل بمؤخرة السيارة و قادتها نحو رفاقها و الأسد مجرور خلفها يحتك جسمه مع التراب و الأعشاب و الأحجار الصلبة.**

**-6-**

**لم يكن مجيء إيميليا بالأسد مفاجئا لجو و البقية، فمن كثرة الأمور الغريبة التي بدأت تحدث منذ صباح اليوم لم يعد شيء يفاجئهم أو يثيرهم.**

**أوقفت إيميليا السيارة و نزلت مستندة على الباب ثم توجهت و هي تعرج نحو القفص، حيث كان جو يجلس مسندا ظهره إلى قضبانه و بجانبه سكارليت، بينما يقف براندون عند الباب يدخن سيجارة.**

**دخلت إيميليا القفص و تساءلت و هي تنظر إلى جسد رودريغو الممدد على ثوب أحمر :**

- **ماذا حدث ؟**

**ردّ جو :**

- **لقد نجا**

**ابتسمت إيميليا و تأملته قليلا و قالت :**

- **لقد ضحى بنفسه و بحبيبته لكي ينجو الأسد، إنه شخص متفانٍ في عمله، على قدر كبير من المسؤولية**

**قال جو و هو ينظر إليه بشفقة :**

- **لا أدري هل أسمي ما فعله شجاعة و مسؤولية أم تهور !**

**ردت إيميليا :**

- أستطيع أن أفهم كيف فكّر، كان أمامه احتمالان : أن ينجو هو و حبيبته و يموت الأسد أو يموت هو و حبيبته و ينجو الأسد.

و تابعت و هي تجلس مقابلة لسكارليت :

- لو مات هو و حبيبته سيحزن عليهما أهلهما و أصدقاؤهما و ستمضي مدة و تشفى قلوبهم، و لن تتأثر البشرية إذ بإزاء موتهما سيولد أكثر من طفل، لكن لو مات الأسد فستنقرض الأسود نهائيا

صمتت قليلا و قالت :

- لقد كان اختياره صائبا، فلترقد روح كارولين بسلام

قال جو :

- آمين

ثم رسم إشارة المسيح، و ألقت سكارليت نظرة على ساق إيميليا النازفة فقالت :

- ماذا حدث لساقك ؟

ردّت إيميليا :

- لقد هاجمتني الضباع !

فغر فاه سكارليت و قالت :

- يا للمسيح !

و قال براندون :

- هل تأذيت كثيرا ؟

التفتت إليه و قالت :

- لا

و تابعت :

- و أنت ؟ كيف حالك ؟

أومأ برأسه دون أن يجيب و قال جو :

- كم كان عمر ابنك؟

ردّ براندون :

- ست سنوات

ثم رفع يده فظهر عليها وشم و قال :

- لقد كان اسمه والتر.

سالت دمعة على خده فمسحها و قال :

- لقد عانى كثيرا، لعل الموت رحمة له

قالت إيميليا :

- فلترقد روحه بسلام

و كذلك قال جو و سكارليت، ثم انتصب جو على ساقيه و قال :

- علينا أن نرحل الآن، لنأخذ رودريغو إلى السيارة و نحمل الأسد إلى القفص

في اللحظة ذاتها، قالت سكارليت في نبرة ذهول :

- إنه يستيقظ

نظروا جميعا إلى رودريغو فوجدوه ما يزال غائبا عن الوعي ثم حوّلوا أبصارهم إلى سكارليت التي كانت تشير نحو الأسد فقالت :

- ليس رودريغو، بل الأسد !

نظرت إليه إيميليا و قالت غير مصدقة :

- اوه، لا !

سألها جو :

- أين بندقية التخدير ؟

ضربت جبينها و قالت :

- تركتها بالسيارة !

**تحرك براندون نحو الباب و قال :**

- **سأذهب لإحضارها**

**أومأ جو برأسه و استوت إيميليا على ساقيها و قالت محاولة ثنيه :**

- **لا، دعني أذهب أنا**

**أشار لها بيده أن تتوقف و قال :**

- **كل ما حدث بسببي أنا، دعيني أكفّر عن بعض أخطائي يا إيميليا**

**ربّتت على ظهره و قالت :**

- **حسنا، كن حذرا، و كفّ عن لوم نفسك، كلنا مذنبون.**

**فتح براندون باب القفص و قفز أرضا و أعاد غلقه و سار بخطى حذرة نحو السيارة، مرّ بالأسد الذي بدأ يتخلص من المخدر و أخذ يحرك أطرافه في بطء، تسلل إلى داخل السيارة و أخرج بندقية التخدير ثم توجه للخلف صوّب نحو الأسد، همّ بالضغط على الزناد ليعطيه جرعة مخدرة إضافية لولا أن سمع صرخات إيميليا تتصاعد من القفص :**

- **براندون، احذر الضباع !**

**تلفّت وراءه بسرعة فوجد قطيعا من الضباع يحاصره و ارتفعت صرخات إيميليا أكثر :**

- **احذر يا براندون**

**و صرخ جو بدوره :**

- **عد إلى السيارة، عد إلى السيارة.**

**ما إن حرّك رجله حتى هجمت عليه أنثى الضبع الحاكمة فلم يتردد في إطلاق رصاصة مخدرة عليها أوقفتها للحظات فقط قبل أن تعود لمهاجمته، و ركض بكل ما حباه الله من سرعة إلى السيارة و الضباع تلاحقه و صراخ إيميليا يرتفع أكثر فأكثر :**

- **احذر يا براندون**

**فتح باب السيارة و ألقى بجسده داخلها فانقض عليه ضبع محاولا جذبه من سرواله فصدمه بالباب بقوة حتى سقط على ظهره آخذا معه طرفا من سرواله بين أنيابه ثم أغلق الباب بخفة.**

**تنفس البقية الصعداء و وضع جو رأسه على قضبان القفص و انهارت إيميليا على الأرض باكية و قالت سكارليت و هي تضرب القضبان براحتي يديها :**

- **يا إلهي، متى نستيقظ من هذا الكابوس !؟**

**قالت إيميليا :**

- **لا أتحمل خسارة واحد آخر منّا**

**أعطى المخدّر مفعوله في جسم أنثى الضبع الحاكمة فانهارت على الأرض، بينما ظلت بقية الضباع تحوم حول السيارة و اقترب بعضها من الأسد يتفحصه ثم بدأوا في التراجع للخلف حين فتح الأسد عينيه و و كشّر عن أنيابه، و ركضت الضباع في هلع حين أخذ يزأر غاضبا و وقف على قائمتيه الأماميتين، و شعر براندون باهتزاز السيارة حين شرع الأسد في جذب قدميه الخلفتين بقوة محاولا التخلص من الحبل و قد كان نجاحه حتميا نظرا لقوته الهائلة و لضعف عقدة الحبل، فركض بعيدا و هو يزأر غضبا أو ربما احتفالا بنصره.**

**حدّقت فيه إيميليا بعينين دامعتين و قد اعتراها إحساس بالضعف و الهزيمة، و نزل براندون من السيارة و قد ارتسمت على وجهه علامات اليأس و الأسف.**

**وسط هذه الأجواء العصيبة حرك رودريغو سبابة يده اليمنى، ثم فتح عينيه و أخذ يسعل، التفوا حوله فنظر إليهم بعينين نصف مفتوحتين و قال بصوت متقطع سبّب له كل حرف منه ألما شديدا :**

- **ك..ا...ر..كا .. رو ..لين .. أي ..ن ؟**

**قالت إيميليا في شفقة :**

- **اهدأ رودريغو، ترفّق بنفسك**

**حاول الرد :**

- **كا ..**

**ثم اعترته قشعريرة فأخذ جسمه يهتز كمن يصعق بالكهرباء، فجلست إيميليا و جو على ركبتيهما محاولين تثبيته.**

# الفصل الرابع

# الإنسان هو العدو الحقيقي

**" طلعت الشمس من وراء الجبل وتوَّجت رؤوس الأشجار بأكاليل ذهبية، وأنا أسأل ذاتي لماذا يهدم الإنسان ما تبنيه الطبيعة؟!**

**جبران خليل جبران**

**-1-**

**لا فرق بين أن تفقد ابنك أو أن تفقد يدك أو ساقك، لكن براندون شعر أنه فقد روحه حين وقف أمام قبر بطول متر و عشرين سنتمتر كُتب عليه : " والتر ديست، توفي يوم 26 مارس 2053 "، وضع باقة أزهار بيضاء على القبر فلم يستطع أن يقاوم دموعه لتهطل غزيرة على خده ثم انهار على ركبتيه بجانب القبر و أخذ يقبله قائلا :**

- **لا أستطيع تحمّل فراقك يا والتر، لا أستطيع !**

*******

**ممددا على سرير في المستشفى، كان رودريغو يتأمل السقف صامتا، منذ استيقاظه قبل يومين لم ينبس ببنت شفة بل يظل مستلقيا على ظهره ينظر إلى السقف فكأن استيقاظه امتداد لغيبوبته فقط، أو شكل آخر من أشكالها.**

**عند رأسه كان يجلس روبرت على كرسي أخضر صار يحفظ تفاصيل أردافه جيدا من كثرة جلوسه عليه، إذ لم يفارق رودريغو لحظة واحدة منذ جاؤوا به**

**إلى المستشفى قبل أسبوع، يقضي معه معظم النهار برفقة أمه تيريزا ثم يبيت الليل عنده راجيا من تيريزا أن تذهب للبيت كي تنام و ترتاح.**

**لقد أبان روبرت عن عاطفة صادقة اتجاه رودريغو، حتى أن والدته تيريزا تعجبت من ذلك فقالت :**

- **لم أتوقع أنك تحب رودريغو لهذه الدرجة**

**أجابها قائلا و هو يقبل خدها :**

- **إنه ابنك كيف لا أحبه !؟**

**قالت و هي تضمه إلى صدرها :**

- **شكرا على وجودك في حياتي**

**لم يكن رودريغو يرى سقفا فوقه بل كان يرى مرآة كبيرة تنعكس عليها صورة كارولين بتنورتها السوداء القصيرة و قميصها الأبيض اللامع، تبتسم في سذاجة طفولية، يشتهي عناقها و تقبيلها و الهمس في أذنيها، لكنه يدرك أنها لم تعد موجودة و أن تلك الصورة المعكوسة على السقف تنعكس من قلبه و روحه.**

**في الثاني من أبريل من العام 2053، غادر رودريغو المستشفى على كرسي متحرك يدفعه روبرت و تمشي تيريزا بجانبه لا يسمع منها إلا طقطقات حذائها ذي الكعب العالي على الأرض.**

*******

**استيقظ جو باكرا هذا الصباح، كان لا يزال ببيجامة نوم بيضاء عليها خطوط مستقيمة زرقاء، يجلس أمام حاسوبه و على يمينه كوب قهوة يرتشف منه ما يبل ريقه بين الفينة و الأخرى، كان قد نسخ كل تسجيلات الكاميرا على الحاسوب و أخذ يشاهد مرات عديدة من مشهد هجوم الأسد على رودريغو كارولين، و فكّر قائلا :**

- **لو عرضت هذا المشهد على شركات صناعة الأفلام الوثائقية لدفعوا لي أموالا طائلة !**

**ثم لام نفسه على هذه الأفكار قائلا :**

**- متى أصبحت خسيسا تتاجر بمآسي الناس ؟**

**فاجأته سكارليت من روائه قائلة بصوت فيه بقية من نعاس :**

**- هل تشاهد هذا الفيديو من جديد ؟**

**أغلق الحاسوب و التفت إليها قائلا :**

**- لا أصدق أن هذا المشهد حقيقي و أني كنت حاضرا هناك، هذا أشبه بفيلم رعب**

**وضعت يديها على كتفه تدلكه و قالت :**

**- أتمنى أنك لم تفكر في بيعه لشركات صناعة الوثائقيات**

**رد نافيا :**

**- كلا، لست انتهازيا**

**قبّلت رأسه ثم توجهت عن المرحاض قائلة :**

**- هل تذهب معي لتناول الفطور بالخارج ؟**

**تأمّل ثوب البيجامة المنغمس بين أردافها فابتسم و قال :**

**- حسنا.**

*******

**منذ أسبوع لم تغادر إيميليا غرفتها، يمر شريط أحداث السافانا بمخيلتها مثل كابوس، تدهورت حالها بشكل ملحوظ، و نقص وزنها ثلاثة كيلوغرامات، برغم كل هذا ما زالت تحاول إنكار عذابها الداخلي أمام أختها ماري، التي نصحتها قائلة :**

**- كفّي عن تعذيب نفسك، ما حدث قد حدث، جلد الذات لن يغير شيئا**

**ردّت إيميليا :**

**- إنني بخير، لا تقلقي علي**

**قالت ماري :**

- **شحوب وجهك، و نقصان وزنك، و شرودك الدائم لا يدل أنك بخير**

**و تابعت في شفقة :**

- **لم يكن الذنب ذنبك**

**ردّت إيميليا :**

- **بلى، لو صوّبت نحو الأسد بسرعة لكنت أصبته قبل أن يعترض رودريغو الرصاصة، و كانت كارولين ستنجو حتما**

**قالت ماري :**

- **لم يكن ذلك ليخفف من حزنك و عذابك، بل ربما كان عذابك أكبر لأنك تسببت في انقراض الأسود، ثم إن رودريغو من اختار أن يضحي بنفسه و حبيبته من أجل إنقاذ الأسد**

**صمتت إيميليا و قالت :**

- **لو أخبرني أحد أنني سأحمل بندقية و أصوّب نحو أسد أو أنني سأدهس قطيع ضباع بالسيارة و أربط أسد و أجرّه لمئات الأمتار لما صدّقت، أتساءل أحيانا : هل فعلت ذلك حقا أم كان كل ذلك مجرد حلم ! فأنا واقعا لا أستطيع دعس صرصار برجلي كما تعلمين**

**ردت ماري قائلة :**

- **قتل صرصار لا يدل على شجاعة و لا على جبن، بل لعل وجود كائنات مثل الصراصير الهدف منه هو منحنا شعورا زائفا أننا شجعان !**

**و تابعت قائلة :**

- **لطالما كنت شجاعة يا إيميليا و ذات شخصية قوية، ألم تعتنِ بي منذ تخلى عنا والدانا؟ لولاك ما كنت لأتحمّل حياة الميتم، لقد كنت سندي الوحيد في الحياة و ما زلت كذلك**

**ردت إيميليا :**

- **أنت أختي، اعتنائي بك هو واجبي**

**اقتربت منها و عانقتها بحرارة قائلة :**

- **ابقي قوية كما عهدتك**

**-2-**

**رنّ المنبه على الساعة السابعة و الربع صباحا فرفع رودريغو رموشه الطويلة كاشفا عن عينين زرقاوين كأنهما انعكاس للسماء، جلس على طرف السرير ثم استوى على ساقيه المتعبتين بمشقة كبيرة، احتاج خمس دقائق ليصل إلى الباب البعيد عن السرير بثلاثة أمتار، كان يأخذ نفسا طويلا بعد كل خطوة، فتح الباب بصعوبة كأن وزنه خمسة أطنان، فرأى روبرت يجلس بفناء البيت يقرأ مجلة رياضية وضعها جانبا فورا حين لمحه يخرج من الغرفة و سارع إليه ليساعده على المشي، أسنده على جسده ثم سأله :**

- **أين تريد ؟**

**رد رودريغو بصوت متعب لا يكاد يسمع :**

- **سأذهب للحمام**

**ثم تابع متسائلا :**

- **أين أمي ؟**

**ردت روبرت :**

- **إنها في المطبخ تحضر الفطور.**

**بلغا الحمام فغسل رودريغو وجهه ثم طلب منه أن يحضر له حقنة أنسولين، أجاب روبرت طلبه فورا و ساعده على نزع سرواله، حقن فخذه مع نظرة شفقة لم تفارق عينيه، و رافقه بعد ذلك إلى فناء البيت حيث اعتاد أن يتناول فطوره.**

**لم يتغير شيء في عاداته، ما زال يستقيظ في السابعة و الربع صباحا يغسل وجهه و يأخذ حقنة أنسولين ثم يفطر، كان ينقصه فقط رسالة من كارولين تسأله عن أحواله و تحثه على أخذ حقن الأنسولين، لقد نسي أنه مريض**

**بالسكري منذ رحلت، أسبوع واحد من دونها كان كافيا ليبرهن له كم وجودها مهم في حياته، لقد افتقدها حقا.**

- **هل يمكنك أخذي إلى قبر كارولين ؟**

**قال لروبرت الذي ما يزال يلتهم شطيرة فقال و هو يمضغ :**

- **طبعا، حالا.**

**و قالت أمه و هي تصب لها كوبا آخر من القهوة :**

- **هل يمكنني الذهاب معكما ؟**

**أومأ رودريغو برأسه و قال :**

- **طبعا أمي.**

**دخل غرفته معتمدا على روبرت، غيّر ملابسه و مشّط شعره، و رش عليه بعض العطر الذي كانت كارولين تحب أن تشمه على جسمه، لم يكن في تصوره أنه ذاهب إلى قبرها بل إلى موعد غرامي معها، و زيارة قبر الحبيب موعد غرامي أيضا.**

**طلب من روبرت أن يشتري له أزهار زعفران لأنه قرأ مرة أنها رمز للحب الأبدي.**

- **أزهار زعفران ؟**

**تساءل روبرت في استغراب، فرد رودريغو باقتضاب :**

- **نعم**

*******

**أمام قبر كتب عليها :" كارولين بايدن، ولدت يوم 28 أكتوبر 2028 و توفيت يوم 26 مارس 2053 " أوقف روبرت الكرسي المتحرك، أمسك رودريغو بالقبر و انتصب واقفا كأنه شاعر سيلقي قصيدة أمام جمهور غفير، ناوله**

**روبرت باقة أزهار زعفران، وضع الباقة على القبر بأناقة، رسم إشارة الصليب و وقف طويلا قبل أن يتمتم قائلا :**

**- سامحيني.**

**لم يكن في قاموس حديثه إليها سوى هذه الكلمة، يؤمن أنه مدين لها باعتذار، اعتذار كبير جدا، لا توجد كلمات تعبر عنه.**

**-3-**

**شفاه يابسة، وجه كالح اللون، جسم أصبح للنحافة أقرب، ألم فظيع في المعدة، هكذا كانت حال إيمليا دون أن ننسى الكوابيس الليلية التي توقظها مذعورة.**

**لعل كل هذا لم يكن كافيا، فجاءتها أختها ماري هذا الصباح حاملة ورقة في يدها، و على وجهها علامات القلق، ناولتها الورقة و قالت :**

**- إنه استدعاء من المحكمة.**

**تساءلت في دهشة :**

**- نعم، لقد رفع والدا كارولين دعوى قضائية ضدكم.**

**و تابعت قائلة :**

**- ستعقد الجلسة بعد 15 يوما**

**قلّبت إيميليا الورقة بيدين مرتعشتين و قالت :**

**- هذا ما كان ينقصنا**

**جلست ماري إلى جانبها و قالت :**

**- و لماذا يرفعان دعوى ضدكم ؟ ماذا فعلتم أنتم ؟ هل قتلتم ابنتهما؟**

**حرّكت إيمليا رأسها ذات اليمين و ذات الشمال و قالت :**

**- لا أعلم**

**و تابعت بعدما وضعت الورقة جانبا :**

- **لكنهما محقان، نحن السبب المباشر في موت ابنتهما**

**تأفّفت ماري و قالت :**

- **كفي عن هذا الكلام يا إيمليا أرجوك، إنك لست مسؤولة عن شيء، هل أنت من تسببت في انقراض الأسود ؟، كلا، هل أنت من أخذت إيمليا معك إلى كينيا ؟، كلا، هل ماتت و هي تدافع عنك ؟، كلا، لذلك أرجوك عزيزتي، كفّي عن لوم نفسك لأنه لا ذنب لك، أنت حاولت الدفاع عنها، حاولت إنقاذها.**

**ظلت إيمليا صامتة، كان جوابها دمعات تساقطت فوق خدها الشاحب، ضمّتها ماري إلى صدرها قائلة :**

- **كوني قوية يا إيمليا.**

*******

**حين أخبر روبرت رودريغو بأمر المحاكمة، لم تصدر عنه أي حركة توحي بغضبه أو مفاجأته، بل قال في هدوء :**

- **هل يمكنك أن تحضر لي ورقة و قلما يا روبرت**

**ردّ روبرت :**

- **طبعا.**

**جاء روبرت بالورقة و القلم و قال :**

- **هل تحتاج شيئا آخر**

**قال رودريغو :**

- **نعم، سأحتاج أن أبقى وحدي لو سمحت.**

**-4-**

**محكمة ولاية كاليفورنيا**

**21 أبريل 2053**

**قلّب القاضي دونالد ويسترون ملف القضية بين يديه ثم تأمل وجوه المتهمين الماثلين أمامه، كانوا من اليمين إلى اليسار : سكارليت، جو، براندون، إميليا، و رودريغو، بجانبه يجلس المحامي ديفيد هامستون و هو محامي شاب نحيف الجسم يرتدي نظارات طبية، تعطي عيناه انطباعا بأنه حاد الذكاء.**

**في الجهة المقابلة، كان والدا كارولين يجلسان بجانب المحامي أدريان فيلر المكلف بالمرافعة عنهما.**

**بين الحضور كانت أم رودريغو برفقة روبرت، و ماري أخت إميليا، و جيمس ريفر مدير مؤسسة FAP ، و بعيدا عنهم تجلس سكايلر صديقة كارولين و هي تحرك قدميها في قلق.**

**نطق القاضي دونالد ويسترون مشيرا إلى سكارليت بيد شوهتها التجاعيد :**

- **أخبرينا بما حدث في السافانا ؟**

**انتصبت سكارليت واقفة بقلب متسارع النبضات و قالت :**

- **سيدي لقد ذهبنا في مهمة كلفتنا بها مؤسسة حماية الحيوانات و التي يجمعنا بها عقد عمل، مهمتنا كما يعلم الجميع كانت متمثلة في إنقاذ أسد في كينيا.**

**ابتلعت ريقها و تابعت :**

- **لكن الأمور لم تجرِ كما خططنا لها أبدا، ففي غفلة منّا هاجم الأسد رفيقينا رودريغو و كارولين ...**

**قاطعها القاضي بسؤال :**

- **هل كانت كارولين تشتغل لدى مؤسسة FAP ؟**

**التفتت إلى البقية بعينين حائرتين و قالت بعد تفكير قصير :**

- **لا أعلم سيدي، لم ألتقِ بكارولين إلا يوم سفرنا و قد قدّمها لنا رودريغو بصفتها حبيبته.**

**تابع القاضي أسئلته قائلا :**

- **ماذا كنت تفعلين عندما هاجم الأسد رفاقكم ؟**

**ردّت سكارليت :**

- **كنت في السيارة سيدي، كنت خائفة جدا و طلبت من جو أن نهرب.**

**قال القاضي :**

- **هل هربتما ؟**

**ردّت قائلة :**

- **نعم، لقد هاجمنا الأسد فقادت بنا إميليا السيارة و هربنا بعيداً.**

**أشار لها القاضي بالجلوس ثم توجّه بالحديث إلى جو قائلا :**

- **أخبرنا يا جو ويلسون بما حدث ؟**

**وقف جو و قال في رباطة جأش :**

- **أنا أؤكد لكم سيدي ما قالته سكارليت، لقد ذهبنا في مهمة بعقد يجمعنا بمؤسسة FAP ، نتذكر بأسف شديد ما حدث لرفيقتنا كارولين، لقد كانت فتاة طيبة و لم تستحق الموت بتلك الطريقة، لا أعلم لماذا نحاكم سيدي فنحن لم نقترف أي ذنب بل كنا ضحايا لهجوم أسد، و قد خلّف الحادث في أنفسنا جرحا عميقا و ألما لا يطاق.**

**تنحنح ثم واصل قائلا :**

- **لقد سجلت الكاميرا كل شيء، كنّا عاجزين تماما ، و قد أعطيت التسجيل للمحامي و أدعوكم سيدي للاطلاع عليه لتعلموا أننا لسنا مذنبين بل ضحايا.**

**سأله القاضي قائلا :**

- **لماذا لم تخدّروا الأسد ؟**

**التفت جو إلى براندون و قال :**

- **هذه المهمة كانت موكلة إلى رفيقنا براندون.**

**حوّل القاضي دونالد ويسترون بصره إلى براندون و قال :**

- **لماذا لم تخدّر الأسد حين رأيته يهاجم رفاقك ؟**

**اعتمد براندون بيدين مرتعشتين على الطاولة الممتدة أمامه ليقف و قال :**

- **سيدي القاضي في اللحظة ذاتها التي هاجم فيها الأسد رودريغو و كارولين وصلتني رسالة تخبرني بوفاة ابني والتر، لقد كان يعاني من**

**السرطان سيدي، و برغم حالته السيئة لم أرد أن أتراجع عن هذه العملية، لذلك وكّلت أمره إلى مربيته و ذهبت.**

**تفجرت عيناه عن دمعتين و تابع :**

- **إن ما حدث يعذبني سيدي، لقد آلمني موت صديقتنا كارولين كثيرا بقدر ما آلمني موت ابني، و أعتبر نفسي مذنبا لأنني لم أنجز مهمتي و تركت الأسد يعيث فسادا دون أن أخدّره.**

**ثم التفت إلى المحامي ديفيد هامستون و قال :**

- **ما تزال الرسالة التي وصلتني عن موت ابني موثقة بالتاريخ و الساعة و يمكنكم مقارنتها بتسجيلات الكاميرا، و قد أعطيتها للمحامي إن أحببتم الاطلاع عليها سيدي.**

**أومأ القاضي دونالد ويسترون برأسه ثم نظر إلى إميليا، كانت نظرة إعجاب أكثر منها نظرة اتهام و قال :**

- **إميليا جوهانسون ؟**

**وقفت إميليا حين سمعته يتلفظ اسمها، كانت تبدو رابطة الجأش مع وهن ظاهر على جسمها يصعب إخفاؤه.**

**تابع القاضي قائلا :**

- **أنت من أطلقت الرصاص على رودريغو كانيلا ؟**

**ردّت مصححة :**

- **بل أطلقت الرصاصة على الأسد و اعترض طريقها رودريغو .**

**قال القاضي :**

- **لماذا لم تستعملي بندقية التخدير ؟**

**أجابت إميليا :**

- **لم أكن أعرف مكانها، ظللت أسأل براندون و أهز جسده متوسلة إليه أن يدلني عليها لكنه كان كالغائب عن الوعي، و حين استيأست منه تصرفت**

**و حملت البندقية و صوبت نحو الأسد رجاء إنقاذ كارولين و كنت قاب قوسين من ذلك لولا تدخل رودريغو.**

**قال القاضي و نظرة الإعجاب لم تفارق عينيه :**

- **هل صحيح أنك أسرت الأسد و ربطته بالسيارة ؟**

**أجابت :**

- **نعم.**

**ضجّت القاعة بالحديث و تبادل البعض نظرات الدهشة، و ضرب القاضي بمطرقته طالبا منهم الصمت، و تابعت إميليا :**

- **لكنه استطاع تخليص نفسه من الحبل قبل أن نضعه بالقفص و هرب، لم نتمكن من تخديره مرة أخرى بسبب هجوم الضباع علينا.**

**سأل القاضي :**

- **و ما حملك على المغامرة بمواجهة الأسد و أسره ؟**

**زمّت شفتيها و قالت :**

- **لقد أدركت كم كانت تضحية رودريغو عظيمة، و لم أرد أن تذهب سدى، لذلك لم أعد أفكر إلا بأسر الأسد و إتمام المهمّة حتى أنني حملت السلاح في وجه رفاقي حين حاولوا منعي.**

**صمتت قليلا ثم تابعت :**

- **لقد هاجمتني الضباع و مزّقت أنيابها ساقي لكنني لم أتراجع.**

**ضجّت القاعة بالحديث مرة أخرى مما اضطر القاضي إلى طلب الصمت.**

**و تابعت إميليا :**

- **ستجدون صور الجرح بساقي في الصور، و قد تلاحظون سيدي الحضور المتكرر للضباع في مسرح الأحداث و يمكنني القول أن عددها ازداد بشكل رهيب بسبب اختفاء الأسود و هذا يشكل خطرا حقيقيا على التوازن الطبيعي.**

**أومأ القاضي برأسه بينما التفتت إميليا إلى والديّ كارولين و قالت :**

- **أنا أتفهّم مشاعر والديها، و أعذرهما حين رفعا دعوى قضائية ضدنا و أريد إخبارهما أنني آسفة جدا لما حدث لابنتهما و أؤكد أن لا ذنب لنا البتة في ذلك، بل حاولنا بأقصى جهودنا أن ننقذها، كما أننا لم نجبرها على الذهاب معنا أبدا بل اختارت ذلك عن طيب خاطر، و كان حضورها معنا في هذه المهمة جميلا و مسليا و قد أحببناها جدا خلال هذه المدة القصيرة، و ذنب موتها يقع عمّن تسببوا في قتل الأسود و انقراضها و خرّبوا توازن الطبيعة مما أدى إلى تجويع الحيوانات فصارت تهاجم كل شيء في طريقها.**

**صمتت ثم قالت و هي تجلس :**

- **لا أؤمن بوجود الجحيم و لكنني أتمنى وجوده لأجل هؤلاء الذين يعيثون في الأرض فسادا.**

**ضجّت قاعة المحكمة بالتصفيق لها، و أومأ القاضي دونالد ويسترون برأسه في إعجاب، قبل أن يتوجّه بالحديث إلى رودريغو قائلا :**

- **هل كانت كارولين تشتغل بمؤسسة FAP ؟**

**انتصب رودريغو واقفا بمشقة كبيرة و أجاب قائلا :**

- **لا سيدي، لقد كانت حبيبتي !**

**تساءل القاضي :**

- **و لماذا أخذتها معك في هذه العملية ؟**

**ردّ رودريغو قائلا :**

- **لأنها أرادت ذلك، لقد أحبّت الاعتناء بي لأنني مريض بالسّكري.**

**تابع القاضي أسئلته :**

- **و ماذا حدث بالضبط أثناء تواجدكم بالسافانا؟**

**أخرج رودريغو ورقة من جيبه و بسطها بين يديه ثم أخذ يقرأ واقفا على قدمين مضطربتين :**

- **سيدي القاضي، لم آتِ اليوم لأرافع عن نفسي فلدي محامي جيد أثق بقدرته على إثبات براءتي، لكني جئت اليوم لأرافع و أدافع عن قاتل حبيبتي، نعم سيدي القاضي، جئت لأدافع عن الأسد.**

**سيدي القاضي، لماذا قتل الأسد كارولين؟ هناك سببان فقط، إما أنه كان جائعا أو كان خائفا، فهو لم يقتلها ليستمتع بذلك حتما، أما كارولين، حبيبتي كارولين، فقد ماتت دفاعا عن حبها، لقد ظللت أتوسل إليها كي تهرب لكنها فضلت التضحية بنفسها لأجلي، ما كنت أستطيع منعها، و لم يكن في مقدور أحد أن يمنعها، لقد كان حبها لي صادقا و كان هذا دافعها إلى الموت لتنقذ حياتي.**

**قد تتساءل سيدي القاضي كما يتساءل والداها الآن و كل الحضور لماذا لم أترك إميليا تقتل الأسد و تنقذ كارولين؟، و يؤسفني القول أنني لا أملك إجابة واضحة و مقنعة، حين لمحت إميليا تصوب نحو البندقية نحو الأسد رميت بنفسي أمام الرصاصة دون تفكير أو تردد، كان احتمال موتي كبيرا، لكن مهمتي كانت أن أنقذ آخر أسد على الأرض و أمنع انقراض الأسود و ليس أن أتسبب في قتله.**

**سيدي القاضي، لا أدري لماذا نحاكم؟ فنحن جميعنا ضحايا، أنا، كارولين، إميليا، براندون و كل رفاقي و طبعا الأسد هو ضحية أيضا، ضحية لطمع و جشع الإنسان الذي دمّر الطبيعة و خرّب توازنها فتسبب في انقراض الكثير من الكائنات دون أن يهتم للموضوع أساسا، من يهتم الآن مثلا لانقراض الأسود؟ لا أحد، لم يحرك أحد ساكنا، لا توجد أي حكومة في العالم قامت بمبادرة تحمي بها الأسود، لماذا؟ ببساطة لأن ذلك لا يعني لهم شيئا، فلتنقرض الأسود و الضباع و الكلاب البرية و قردة الشامبانزي و لتمت أشجار الأرز و الأكاسيا و لتجف كل البحيرات و الأنهار، لن تجد أحدا يهتم للموضوع، ما دامت المصانع قائمة و الحسابات البنكية مليئة بالدولارات و ما دام عدد المليادريرات في ازدياد فنحن بألف خير، أما الحديث عن انقراض الحيوانات فهو أشبه بإلقاء نكتة يضحك منها الناس ثم ينسونها بعد دقائق، بالرغم أن الإنسان هو الشبب المباشر في كل هذا، فقبل ألفي عام كان هناك ملايين الناس و**

**ملايين الأسود، أما اليوم فيوجد على كوكب الأرض أكثر من 8 مليار إنسان و في المقابل لا يوجد سوى أسد واحد !**

**سيدي القاضي، الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يقتل للمتعة و يمارس الصيد كهواية أما الحيوانات فليست كذلك إطلاقا، لن تجد أسدا أو ضبعا أو نمرا يقتل غيره من الحيوانات لأجل المتعة و التسلية، و سأقتبس هنا الكاتب الكبير مارك توين الذي عقد مقارنة بين رجل إنجليزي نبيل و بين أفعى أناكوندا، يقول مارك توين أن هذا الرجل الإنجليزي النبيل كان مولعا بالصيد و قنص الحيوانات ببندقيته التي رخصت له الحكومة ليمارس بها هواية القتل، و ذات مرة دعا أصدقاءه للخروج في رحلة صيد، فاصطادوا 14 ثورا و في الأخير لم يذبحوا سوى ثور واحد ثم أكلوا جزءا صغيرا منه و تركوا بقية الثيران تتعفن في الخلاء، في حين أن أفعى الأناكوندا هاجمت اسطبل عجول فقامت باصطياد عجل واحد و أكلته ثم انزوت في ركن الاسطبل لتهضمه دون أن تؤذي باقي العجول، فمن الأرقى هنا الرجل النبيل أن أفعى الأناكوندا؟ فرغم أن الرجل النبيل كان متعلما و مثقفا و واعيا إلا أنه كان قاسيا بينما أفعى الأناكوندا ليست قاسية على الإطلاق.**

**لعل هذا الكلام يجعل الناس يفهمون لماذا ضحيت بنفسي و بحبيبتي حتى أنقذ الأسد، أظن أن السبب صار جليا، فهو لم يهاجمنا لأنه يكرهنا أو لأنه شرير و قاسٍ أو لأنه كان يمارس متعة الصيد، بل لأنه كان جائعا أو خائفا فقط، و قتلنا له كان خطأ كبيرا لم أكن أبدا لأسمح بوقوعه، لم أرغب أن نتسبب في انقراض حيوان آخر، و نهدم بناء الطبيعة من جديد، ففضلت أن تكون الرصاصة في جسدي لا في جسد الطبيعة.**

**لا أعلم إن كنت أستحق تضحية كارولين لأجلي، لكني على يقين أن الأسد كان يستحق تضحيتي لأجله.**

**رسم إشارة الصليب ثم رفع يديه و قال :**

- **فليرحم الرب روح كارولين، لقد كانت أطيب إنسان عرفته.**

**جلس و هو يتصبب عرقا، حدّق به القاضي دونالد ويسترون دون كلام قبل أن تضج القاعة بالتصفيق له، و هطلت الدموع غزيرة على خدّ أم كارولين و كان الأب يربّت على كتفها و شعور الحزن يمزق أوصاله مثلما كانت توحي عيناه.**

**خيّم الصمت على القاعة لبرهة من الزمن، و شدّت إميليا على يد رودريغو و همست له :**

- **كان خطابك مثل موعظة المسيح على الجبل.**

**نظر إليها و تفتحت شفاهه اليابسة عن ابتسامة دون أن يقول شيئا.**

*******

**أعطى القاضي دونالد ويسترون الكلمة للمحامي أدريان فيلر، فانتصب واقفا و بدأ مرافعته قائلا :**

- **سيدي القاضي، أقف بين أيديكم مطالبا بحق الراحلة كارولين بايدن، التي ترك موتها جرحا كبيرا في قلب والديها و قلب كل من عرف عن قرب هذه الشابة الطيبة.**
  **سيدي القاضي، لقد تم تغرير بهذه الشابة المسكينة من حبيبها رودريغو كانيلا الذي أخذها معه ليتباهى بها أمام أصدقائه و يستمتع بجسدها في براري إفريقيا.**

**قاطعه المحامي ديفيد هامستون قائلا :**

- **أعترض سيدي القاضي، ليس من حقه اقتحام خصوصيات موكلي و حبيبته.**

**قال القاضي :**

- **اعتراض مقبول**

**و واصل أدريان فيلر :**

- **سيدي القاضي، إن كارولين بايدن ما كانت لتسافر إلى كينيا و تتجول في البراري معرضة للخطر من الأسود و الضباع لولا وجود رودريغو كانيلا**

**في حياتها، لقد استغل مرضه ليغرر بها، و إلا فهو ليس طفلا صغيرا لتعتني به!، هذا مبرر فارغ سيدي القاضي لقد ضحت بحياتها لأجله و ماذا فعل هو بالمقابل ؟ ضحى بها لينقذ أسدا لولاه أصلا ما كانت لتقابله أو يهاجمها.**

**سيدي القاضي، ما حدث هو جريمة نكراء في حق الشابة المسكينة كارولين، و مرتكب هذه الجرائم هم هؤلاء الماثلون أمامكم و على رأسهم المدعو رودريغو كانيلا.**

**شكرا سيدي القاضي.**

**مرّر القاضي الكلمة للمحامي ديفيد هامستون فاستوى على ساقيه و عدّل نظارته و قال :**

- **سيدي القاضي، لعلي أول محامٍ يقف بين يدي المحكمة و ليس لديه ما يقوله، لأن براءة هؤلاء السادة جلية للعيان و سأكون أحمق لو حاولت إثباتها، فهل يجوز أن أقف أمامكم محاولا إقناعكم أن لون البحر أزرق أو أن الماء يتكون من ذرتي هيدروجين و ذرة أوكسجين ؟ لا شك ستسخرون مني لأن هذه حقائق لا يشكك بها عاقل، و الأمر ذاته سيدي القاضي بخصوص براءة هؤلاء السادة فهي حقيقة واضحة وضوح الشمس.**

**سيدي القاضي، ليس لدي ما أقوله سوى أن أشكر السيد رودريغو كانيلا على تضحيته بنفسه و حبيبته من أجل أن ينقذ توازن الطبيعة.**

**نزع نظارته و ختم مرافعته قائلا و هو يشير إلى رودريغو :**

- **كلنا مدينون بالشكر لهذا الرجل**

**و انحنى على يده يقبلها و ضجّت القاعة بالتصفيق و بكى بعض الحاضرين تأثرا بالمشهد، و لم يستطع رودريغو أيضا أن يقاوم دموعه.**

**أطلق القاضي دونالد ويسترون تنهيدة ثم قال :**

- **ستنصرف المحكمة للمداولة و إصدار الحكم.**

**انصرف القاضي و مساعدوه و المدّعي العام إلى المداولة، و التفت رودريغو إلى المحامي ديفيد هامستون و قال :**

- **شكرا لك**

**ربّت المحامي على كتفه و قال :**

- **كما أسلفت القول أنا من عليّ شكرك.**

**ثم أفصح له عن رغبته في الخروج لتدخين سيجارة فأومأ رودريغو برأسه و قام المحامي مغادرا القاعة ثم نادى رودريغو روبرت و تبادل التحية مع أمه و أشارت له بإبهامها أن أحسنت.**

**حين وصل روبرت همس رودريغو في أذنه قائلا :**

- **أريد الذهاب إلى المرحاض.**

**قال روبرت و هو يساعده على النهوض :**

- **لقد كنتَ رائعا**

**ردّ رودريغو :**

- **شكرا لك يا روبرت**

**كانت إميليا تراقبهما و هما يغادران القاعة، كان روبرت يبدو كعكاز يستند عليه رودريغو، لوّحت إميليا لأختها ماري و استدارت عند براندون الجالس على يسارها و قالت :**

- **كيف حالك ؟**

**أجابها قائلا :**

- **أحوالي لا بأس بها، أفتقد والتر بشدة.**

**شدّت على يديه و قالت :**

- **ستتجاوز الأمر، فقط عليك البقاء قويا**

*******

**بعد عشرين دقيقة من عودة رودريغو و المحامي ديفيد هامستون إلى مقعدهما، دخل القاضي دونالد ويسترون و مساعدوه و المدعي العام، اشرأبت الرؤوس و حدّقت العيون في القاضي بترقب شديد، فنطق بالحكم قائلا :**

- **بعد استماعنا للمتهمين و اطلاعنا على الأدلة، خلصت المحكمة إلى أن ما بات يعرف بقضية السافانا لا يزيد عن كونه حادثا طبيعيا لا دخل للمتهمين فيه و بالتالي حكمت ببراءتهم جميعا.**

**تعالت صيحات الفرح بقاعة المحكمة و تبادل المحامي ديفيد هامستون التحايا مع المتهمين و عانقه جو بحرارة كأنه صديقه الحميم، فيم غادر والدا كارولين القاعة غاضبين و أتبعهم رودريغو بنظراته الحزينة.**

**-5-**

**" القاضي دونالد ويسترون يبرئ رودريغو كانيلا و فريقه مما حدث في السافانا "**

**" المحامي ديفيد هامستون يقبّل يدي رودريغو كانيلا "**

**" خطاب مؤثر لرودريغو كانيلا في المحكمة"**

**كانت إميليا تقرأ في إحدى الجرائد حين دخلت أختها ماري إلى غرفتها و قالت :**

- **هناك شخص يريد مقابلتك ؟**

**وضعت الجريدة جانبا و تساءلت :**

- **من ؟**

**ردت ماري :**

- **السيد جيمس ريفر.**

**قالت إميليا و هي تنتصب واقفة :**

- **أخبريه أني قادمة.**

**غيّرت قميصها و عدّلت من شكلها ثم خرجت إلى فناء البيت حيث كان يجلس المدير جيمس ريفر، فقام لتحيتها حين رآها و قال و هو يقبل خدها :**

- **لقد تحسّنت حالك كثيرا**

**ابتسمت دون أن تقول شيئا و أشارت له بيدها ليجلس، و جاءت ماري بكأس ماء للمدير و انصرفت، و قال المدير بعد أن ارتشف بعض الماء :**

- **أتيت لبيتك لأن هناك أمر مهم أود الحديث معك حوله.**

**قطّبت إميليا حاجبيها و قالت :**

- **تفضّل**

**استطرد المدير :**

- **كما تعلمين يا إميليا فإن مهمتنا لإحضار الأسد لم تكلل بالنجاح، و الأسد ما يزال معرضا لخطر الموت أو القتل، و قد اتصلوا بي من كينيا ثانية كي**

**أجد حلا، لأن الماساي يهددون بقتل الأسد إن لم نتصرف لأنه يهاجم مواشيهم كما تعلمين.**

**بلّل ريقه برشفة ماء و تابع :**

- **في الحقيقة لا أفكر الآن في إحضار الأسد، بل أريد أن آخذ إحدى اللبوئتين إلى كينيا لتتزاوج معه هناك، مع تكليف فريق يحرسهما حتى ينجبا أشبالا جديدة، و حين فكرت لم أجد أفضل منك أكلّفه بهذه المهمّة.**

**تنحنحت إميليا و قالت :**

- **أشكرك على ثقتك سيدي، لكني لا أعلم إن كنت جاهزة الآن للعودة إلى هناك**

**قال المدير :**

- **أعلم حجم المأساة التي مررتم بها، و التضحية التي قدمتموها، لكن إن تركنا الأسد يموت و انقرضت الأسود ستكون كل تلك التضحيات قد ذهبت سدى.**

**أطرقت مفكرة، لم تكن ملامحها توحي بالتردد أو الحيرة، فلعلها كانت تريد فعلا العودة للسافانا و عيش المغامرة مرة أخرى، رفعت رأسها و قالت :**

- **حسنا سيدي، أظن أنني أرغب في القيام بذلك، لكن من سيرافقني ؟**

**انفرجت أسارير المدير و قال :**

- **لا أعلم، لم أخبر أحدا حتى الآن غيرك.**

**قالت إميليا :**

- **لا يوجد أفضل من رودريغو و براندون**

**ردّ المدير :**

- **أستحي أن أطلب من رودريغو العودة للسافانا بعدما ما حدث**

**ردت إميليا :**

- **سأتحدث إليه و إلى براندون أيضا، و سأخبرك بقرارهما.**

**انتصب المدير واقفا و شكرها قائلا :**

- شكرا لك يا إميليا، كنت أعلم أن بإمكاني الاعتماد عليك

ردت قائلة :

- بل شكرا لك سيدي على ثقتك.

غادر المدير سعيدا بموافقتها، حين أغلقت الباب سألتها أختها ماري :

- هل تنوين حقا العودة إلى كينيا ؟

قال إميليا :

- هل كنت تتجسسين علينا يا ماري ؟

ردت نافية :

- كلا، سمعت ذلك صدفة فقط.

قالت إميليا :

- نعم، أنوي العودة و إتمام المهمة

فغر فاه ماري و قالت :

- لا بد أنك تمزحين

ردت إميليا و هي تدخل غرفتها :

- أرجوك ماري، لا أريد جدالا الآن.

**-6-**

**مستندا إلى القفص الذي يوجد به القرد جاك، كان رودريغو يتأمل صورة له مع كارولين على الشاطئ، كان يرتدي تبانا أحمر بينما كانت كارولين ترتدي مايوه بيكيني أزرق، و ترسم على شفتيها ابتسامة طفولية.**

**قلب رودريغو الصورة، كان مكتوبا على ظهرها تاريخ التقاطها : 27 يوليوز 2048، فوضعها في جيبه ثم توجّه بالحديث إلى القرد جاك قائلا :**

- **لقد اشتقت لها يا جاك، أشعر أنني ضائع من دونها، أنت تفهم قصدي أليس كذلك؟، لقد كانت أهم شخص في حياتي، اعتدت وجودها بجانبي.**

**حدّق القرد في عينيه، فظنّ رودريغو أنه تأثر بما قاله، فخاطبه قائلا :**

- **لا تحزن لأجلي يا جاك، سأتجاوز هذه المحنة.**

**ثم ودّعه قائلا :**

- **أراك لاحقا يا صديقي.**

**سار رودريغو نحو قفص إحدى اللبوئتين، و حين بلغه أمسك بقضبانه الحديدية، و تأمّل اللبوءة مدة غير يسيرة قبل أن يقول ناظرا في عينيها :**

- **لقد حاولت أن أحضر ذلك الأسد إلى هنا، حتى تحظي بفرصة إنجاب أشبال جديدة لكني لم أكن محظوظا، حتى أنتِ لست محظوظة فلا شك أنك رغبت أن تكوني أم السلالة الجديدة من الأسود، أنا آسف جدا، حاولت و لم أنجح، فسامحيني.**

**قاطعه رنين الهاتف، فتح الخط و أجاب قائلا :**

- **مرحبا جو**

**أجاب جو :**

- **أهلا رودريغو، كيف حالك ؟**
- **بخير، و أنت ؟**
- **بأفضل حال أشكرك**

**صمت قليلا ثم أضاف :**

- **هناك أمر طارئ أود إطلاعك عليه و أرجو أن لا تغضب.**

**حك رودريغو جبينه و قال :**

**- تفضل جو، أنا أسمعك.**

**رد جو :**

**- لقد اتصل بي مدير شركة وايلد لايف لإنتاج الوثائقيات، و قدم عرضا ماليا ضخما من أجل شراء مقاطع الفيديو التي صورتها في السافانا.**

**صمت برهة ثم تابع :**

**- و من بينها شريط الفيديو الذي يظهر فيه الأسد و هو يهاجم كارولين.**

**ظل رودريغو صامتا لوقت طويل قبل أن ينطق قائلا :**

**- لا يهمني المال يا جو، بل أريد أن يرى العالم شجاعة و تضحية كارولين.**

**لعل جواب رودريغو كان مفاجئا لجو فقال بنبرة استغراب :**

**- أليس لديك اعتراض يا رودريغو ؟**

**قال رودريغو :**

**- لا، كما قلت أحب أن يرى الناس جميعا تضحية كارولين**

**رد جو قائلا :**

**- شكرا على موافقتك رودريغو**

**أغلق الخط و أرجع الهاتف إلى جيبه، و عاد يتأمل اللبؤة، فسمع صوتا يناديه من خلفه :**

**- رودريغو ؟**

**التفت فتجلى أمامه وجه إميليا الذي استعاد الكثير من حسنه، و رد مرحّبا :**

**- أهلا بك إميليا، من الجميل أن أراك مرة أخرى هنا**

**تبسّمت و قالت :**

**- شكرا لك.**

**ثم تساءلت و هي تلقي ببصرها يمينا و يسارا تتفحص المكان :**

- أين براندون ؟

قال رودريغو :

- لا أعلم، رأيته بالأمس أما اليوم فلا أعتقد أنه أتى

أومأت إميليا برأسها و قالت :

- لقد جئت من أجل الحديث إليك و إلى براندون

تساءل رودريغو في اهتمام :

- ما الأمر ؟

أخبرته بما عرضه المدير عليها، فأطرق مفكّرا ثم رفع رأسه و قال :

- كنتُ أفكّر أيضا بأن علينا إتمام المهمة، حتى لا تكون تضحيتنا من أجل لا شيء، و أعتقد أن براندون أيضا لن يعارض.

ربّتت على كتفه و قالت :

- أنت رجل جيد يا رودريغو، و أعلم أنني أستطيع الاعتماد عليك.

شكرها ثم طلب إذنها بالمغادرة لإنجاز بعض الأعمال.

***

في المساء عاد رودريغو إلى البيت فكان أوّل ما فعله هو مناداة أمها و إخبارها بسفره إلى السافانا قائلا :

- سأعود إلى كينيا و لا أريد أي اعتراض يا أمي

ثم دخل غرفته و دعا روبرت و قال له و هو يخرج صورة من جيبه :

- أريدك أن تسدي لي معروفا يا روبرت.

-7-

**في صيف 2053، عاد رودريغو إلى كينيا برفقة إميليا و براندون، كانوا يركبون شاحنة تحمل قفصا كبيرا تربض به اللبؤة التي أحضروها في اطمئنان، قابلوا مسؤلين عن "دائرة الحياة البرية الكينية" في منطقة ماساي مارا، حدّق رودريغو في وجه أحدهم و خاطبه قائلا :**

- **هل يمكنك أن تسأل بعض الماساي إن رأى أحدهم الأسد؟**

**قال :**

- **حسنا**

**توجه إلى بعض الرعاة من الماساي و حدثهم برهة من الزمن ثم عاد و قال :**

- **علينا أن نقابل كبيرهم، هو من يملك معلومات عن الأسد.**

**انتصب شيخ قبيلة الماساي واقفا بقامته الطويلة و جسمها النحيف كأقلام الحبر الجافة، تقدم نحوه مسؤول عن "دائرة الحياة البرية الكينية" و سأله بلغة سواحلية عن الأسد، أجاب شيخ القبيلة عن سؤاله فالتفت المسؤول نحوهم و قال :**

- **يقول أن الأسد اختفى منذ أسبوع**

**لكم رودريغو كف يده اليسرى في خيبة أمل و قالت إميليا :**

- **اسأله إن كانوا قد قتلوه**

**نفذ المسؤول طلبها فأشار شيخ القبيلة بيده نافيا، فقال رودريغو :**

- **إذن علينا أن نذهب للبحث عنه**

**عرض شيخ قبيلة الماساي المساعدة عليهم فأبوا و شكروه ثم انصرفوا للبحث عن الأسد.**

*******

**قالت إميليا و هي تقود الشاحنة :**

- **إننا نبحث منذ ساعات و قطعنا عشرات الكيلومترات من دون فائدة.**

**ردّ براندون قائلا :**

- **ما رأيكم أن نتوقف لنستريح قليلا ؟**

**وافقه رودريغو الرأي قائلا :**

- **أحتاج لبعض الراحة أيضا**

**ترجّلوا من الشاحنة، أخرج براندون سيجارة و أخذ يدخّن، بينما بسط رودريغو رداء على الأرض و قعد يرتشف الماء، أما إميليا فكانت تتأمل اللبوءة صامتة.**

**استراحوا نصف ساعة ثم استأنفوا جولة البحث، و لم يتوقفوا حتى أسدل الليل ستارته على برية كينيا الجامحة، فأقاموا خيمة و أشعلوا النار عند بابها مثلما كان الإنسان البدائي يفعل كي لا تقترب منه المفترسات، ثم قضوا ليلتهم هناك.**

**في الصباح الباكر من اليوم التالي، انطلقوا بالشاحنة لإكمال عملية البحث، و عندما انتصف النهار أخذوا وقتا للراحة، كان براندون يدخّن و رودريغو مستلقيا على الأرض حين صاحت إميليا :**

- **لقد رأيته، إنه هناك**

**انتصب رودريغو واقفا بحركة رشيقة و تناول المنظار من يدها و قال حين رأى الأسد :**

- **إنه هو.**

**ثم ضحك بصوت عالٍ و ضرب كف إميليا .**

**ركبوا الشاحنة و ساروا نحو مكان الأسد، و حين صاروا على بعد مئة متر منه تقريبا كانت دهشتهم كبيرة، إذ لم يكن الأسد بمفرده بل كانت معه لبوءتان !**

**ظلوا يحدقون صامتين في اللبوءتين و هما تلتهمان جثة حيوان النو بينما كان الأسد يجلس بقربهما بعدما أكل حصته، لم يعرفوا من أين جاءت هاتان اللبوءتان، لكن نحن نعرف من أين جاءتا، إنهما ابنتا اللبوءة فتكسا التي أنجبتهما على ضفاف نهر أوكافانغو، فتكسا التي كسر الجواميس كاحلها و خلعوا كتفها، فتكسا التي عبرت النهر على ثلاث قوائم و حققت معجزة حين أنقذت شبليها من الهلاك، لقد كبر الشبلان و صار لبوءتين بالغتين، و قادتهما فتكسا من نهر**

**أوكافانغو في بوتسوانا إلى منطقة ماساي مارا في كينيا، و قد أدركها الموت قبل أن تلتقي الأسد الذي تزاوج مع ابنتيها الآن.**

**قال رودريغو و هو يتأمل المشهد :**

- **أترين يا إميليا ما أرى؟ أترين؟ إن الطبيعة قادرة على بناء نفسها بنفسها دائما دون حاجة لتدخل الإنسان بل لعل تدخله يهدم بناءها في أحيان كثيرة.**

**أسندت إميليا رأسها على كتفه و قالت :**

- **هذه معجزة**

**و قال براندون :**

- **إنها يد الإله، تبني ما هدمه الإنسان.**

**و تساءل :**

- **ماذا نفعل الآن بلبؤتنا ؟**

**نظر رودريغو إلى القفص، كانت اللبؤة قد وقفت و أخذت تتأمل الأسد و اللبؤتين أيضا، فقال :**

- **سنفتح القفص.**

*******

**بعد يومين، ودّع رودريغو إميليا و براندون عائدا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بعدما قرّر براندون المكوث مع إميليا هنا، لحراسة قطيع الأسود و الاهتمام به و تطبيبه، و قال رودريغو و هو يتأمل وجهيهما :**

- **هل تحبّان بعضكما ؟**

**نظر إلى بعضهما في دهشة، و انفجرا ضاحكين و أردف رودريغو :**

- **لا شك أنكما تحبان بعضكما**

**و أنهى كلامه قائلا :**

- **أتمنى لكما قصة حب جميلة في هذه البراري.**

**عانقته إميليا في حرارة و همست في أذنه :**

- **سأنجب بنتا و أسميها كارولين**

## الفصل الخامس

# ما يبقى من الحب ..

"

1

في مُنتصفِ ليلةٍ كئيبة، وفي غمرة إنهاكي وضَجَري،
وأثناءَ انكبابي على كتبٍ طريفةٍ غريبةٍ عن المَعارفِ المنسية،
مالَ رأسي، كِدتُ أغفو. فجأة تناهى لسمعي صَوتُ دَق،
كأن أحداً برفقٍ على بابِ حُجرَتي يطرُق.
قلتُ مُتمتماً: "إنه زائر، على بابِ حُجرتي يَدُق –
هذا فقط، ولا ثان."

2

آه، بوضوحٍ أذكرُ أننا بشهر كانون الكئيب،
وكل جَمرةٍ مُحتضرةٍ تُلقي على الأرض رَمادها.
تَوَسّلتُ مَجيءَ الصّباح؛ –

لمْ أجِد في كتبي سَلوى لحُزني – حُزني على الفقيدة لينور –
الفتاة النادرة المتألقة التي تُسَمّيها الملائكة لينور –
التي ما لها هُنا ذِكْرٌ ثان. "

من قصيدة " الغراب " لإدغار آلان بو
ترجمة غسان أحمد نامق

**-1-**

**صوت موسيقى إسبانية تمتزج بصوت طرقات على الباب، حين انتبه رودريغو أوقف الموسيقى فأصبح صوت الطرقات صافيا، سار نحو الباب بخطى متثاقلة، و لما فتح تفاجأ بوالديّ كارولين، حاول التخلّص من دهشته فحيّاهما قائلا :**

- **مرحبا بكما**

**قال والد كارولين دون أن يردّ تحيّته :**

- **لا أدري كيف أحبّت ابنتي نذلا مثلك !**

**اندهش رودريغو من كلامه و تابع الرجل :**

- **كيف تتاجر بمأساة ابنتي و تبيع لقطات موتها لصنّاع الوثائقيات ؟**

**أخفض رودريغو رأسه ثم دعاهما للدخول قائلا :**

- **تفضّلا بالدخول.**

**رد والد كارولين :**

- **لا أريد الدخول لبيتك**

**توسّل إليه رودريغو :**

- **أرجوك سيدي**

**ثم خاطب زوجته :**

- **من فضلك سيدتي، شرّفاني بالدخول إلى بيتي**

**لم يستطيعا مقاومة توسلاته فدلفا إلى الداخل، أغلق رودريغو الباب و طلبا منهما الجلوس ثم جلس مقابلا لهما و قال :**

- **أنا لم أبع أي مقطع فيديو، اتصل بي جو – المصور الذي كان معنا – و أخبرني برغبة إحدى الشركات شراء الفيديوهات المصورة لما حدث لنا في السافانا فوافقت، و اسمحا لي أن أخبركما بسبب موافقتي، لقد رغبت أن يعلم الناس جميعهم بتضحية كارولين العظيمة و أن الفضل كله يعود إليها في عدم انقراض الأسود، إن كارولين تستحق التخليد.**

**ساد بينهم صمت قصير قبل أن يضيف رودريغو :**

- **لقد أحببتها كثيرا، و أفتقدها جدا.**

**سالت دمعة على خدّه أسرع إلى مسحها ثم دعاهما إلى دخول غرفته، استجابا لطلبه، و حين دخلا تجلى أمامها رسم كبير على جدار الغرفة، كان رسما لكارولين و رودريغو على شاطئ البحر، أجهشت الأم بالبكاء بينما قاوم الأب دموعه و غادر الغرفة، لحق به رودريغو و ربّت على كتفه قائلا :**

- **أنا أعتذر لك سيدي على الحزن الذي سببه لك موت كارولين، و يجب أن تعلم أن حزني كان أكبر و أعظم.**

**زمّ الأب شفتيه، و قال حين خرجت زوجته من الغرفة :**

- **اسمح لنا بالذهاب الآن**

**قال رودريغو :**

**- لقد تشرفت كثيرا بزيارتكما، و أتمنى أن لا تكون الأخيرة**

**و أردف و هو يغلق الباب خلفهما :**

**- و اعلما أن ذكرى كارولين لن تغادر قلبي و عقلي أبدا.**

**-2-**

**بعد مرور خمسة أشهر، اتّصل المدير جيمس ريفر برودريغو مخبرا إياه برغبته في مقابلته و طلب منه أن يحضر إلى مقر مؤسسة FAP .**

**في زوال اليوم نفسه، ذهب رودريغو إلى المؤسسة و عند اجتيازه الباب استوقفته جدارية عملاقة، كانت لكارولين و هي تحمل شبلا، نزل من السيارة و اقترب من الجدارية و تأملها لدقائق، ثم قال :**

**- كارولين !**

**و سالت الدموع غزيرة على خديه. جاء المدير و بعض العاملين في المؤسسة فصافحوه جميعا و عانقه المدير في حرارة و قال :**

**- هذا أقل ما يمكنني تقديمه عرفانا بتضحيتها**

**أومأ رودريغو برأسه و قال بصوت تخنقه الدموع :**

- شكرا لك سيدي، إنها التفاتة طيبة منك.

ربّت المدير على كتفه و قال :

- لديّ مفاجأة لك، تعال معي إلى المكتب

سار المدير و رودريغو خلفه ثم التفت إلى الجدارية و ابتسم، و حين دخل إلى المكتب دعاه المدير إلى الجلوس و أحضر حاسوبه و شغّل مقطع فيديو فظهرت أشبال تلعب، و ابتسم رودريغو لما ظهرت إميليا و هي تداعب أحد الأشبال، ثم قال :

- لقد أنجبت اللبؤات أشبالا

رد المدير :

- نعم، لقد نجحنا في إنقاذ الأسود من الانقراض

تأمّل رودريغو الأشبال و قال :

- إنها رائعة.

و رسم إشارة الصليب و قال :

- شكرا للرب لأنها لم تنقرض

***

في مساء ذلك اليوم، عاد رودريغو إلى البيت و بعد أن تناول بعض الطعام و أخذ حقنة أنسولين أخذ ورقة و قلما و كتب رسالة إلى كارولين.

في صباح التاسع و العشرين من شهر ديسمبر من العام 2053، زار قبر كارولين، و بعد أن وضع أزهارا على قبره، أخرج الرسالة من جيبه و حفر ثم دفنها و قال :

- هذه رسالتي الأخيرة إليك يا كارولين، فلترقد روحك بسلام يا حبيبتي

ثم أجهش بالبكاء.

أما محتوى الرسالة فكان كالتالي :

**" عزيزتي كارولين**

**لقد اشتقت لك، لدي كلام كثير أقوله لكن لا أدري كيف أعبر، كم أتمنى لو كنتُ شاعرا أو كاتبا حتى أصف لك ما أشعر به، و كم أتمنى لو كنت أمامي الآن حتى تفهمي أحاسيسي دون أن أتكلم.**

**عزيزتي كارولين**

**لقد نسيت أنني مريض بالسكري منذ فقدتك، و أحتاج بشدة لمن يذكرني، أحتاج من يهتم بي، فلعل أشهر حكمة يعرفها الناس و لا يهتمون لها هي أننا لا ندرك قيمة الشخص حتى نفقده، و أنا قد أدركت أن حياتي كلها لا قيمة لها من دونك.**

**عزيزتي كارولين**

**إني أحبك، أحبك فوق ما تتصورين، و منذ رحليك يذبح قلبي الحزن و الاشتياق.**

**لطالما اعتقدت أن الحب هو ما يبقى من الحب بعد الجنس، و حين فقدتك أدركت أن الحب هو ما يبقى من الحب بعد الفراق "**

**(انتهت)**